
الرحمن الرحيم
عبد الرزاق نوفل



دراسات بقلم

عبد الرزاق نوفل

الطبعة الأولى

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦

الإهداء

إلى بنى الإنسان .. أينما كانوا

ليطمئنوا إلى رحمة ربهم ...

فهو الرحمن الرحيم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ »

« صدق الله العظيم »

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

« نَبِّىءْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »

هناك حقيقة فى حياة الإنسان لا تقبل الشك ... ولا يرقى إليها أى ارتياب .. وهى واضحة جلية لا تحتاج إلى أدلة لبيانها .. أو شروح لإثباتها .. هذه الحقيقة هى أن كل لحظة تمر بالإنسان فى حياته إنما تعجل من ساعة رحيله وتقربه من آخرته التى لا محيد عنها .. ويخشى الإنسان هذه الحقيقة ويهرب دائما من الحديث عنها ولا يحاول أن يتأمل ويتدبر ، فلعله يجد فيها غير ما كان يخشاه منها ..

ولا شك أن هناك أكثر من سبب يدفعه إلى الخوف والخشية ولعل أقواها هو شعوره بأنه أخطأ فى هذه الحياة .. وأن ذنوبه أكثر مما كان يجب ..

ولكن أين الإنسان الذى لم يخطىء ؟ .. وأين العبد الذى لم يذنب.. ؟

إن الإنسان خطاء بطبعه مذنب بحكم ظروف وجوده ،

فهل ييأس الإنسان .. ويقنط العبد ؟ أم ترى أن رحمة الله الواسعة وقد شملت العباد فى الدنيا بالرغم من خطاياهم وعلى ما هم فيه من ذنوب ستتسع لهم فى الآخرة وهم وقوف بين يدى الله مستغفرين نادمين ؟.

إن الله سبحانه وتعالى قد فتح باب رحمته بحيث تتسع لعباده مهما كان من ذنبهم وخطاياهم فيقول عز شأنه :

« قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

.. فياترى هل تفكر الإنسان فى قدر رحمة الله فى الآخرة .. وإذا تفكر فيها ... فهل ييأس منها ؟...

إن هذا الكتاب الذى أقدمه لبنى الإنسان جميعاً ... حين يوضح بعض آثار رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده فى الدنيا وبعض صور رحمته بعباده فى الآخرة ... وحين يستعرض بعض أسباب خلق الله للانسان.. فإنما يهدف إلى إشاعة الطمأنينة فى قلوب الناس ويدعوهم إلى الإعتقاد فى رحمة الله الواسعة التى ستشملهم فى آخرتهم كما شملتهم فى دنياهم ..

والله أسأل أن يكتب لى ولك أجر الإيمان به .. وأن يجعل دعوتى ودعوتك جهاداً فى سبيله لنكون مع من يقول عنهم سبحانه وتعالى :

« الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » .

« صدق الله العظيم »

عبد الرزاق نوفل

بسم الله الرحمن الرحيم

تترد أسماء الله الحسنى فى جميع سور القرآن الكريم ، ويتكرر ذكر صفاته جل شأنه فى كثير من آياته الشريفة ، ومن ضمن الصفات التى تكررت.. الرحمة ومن الأسماء الحسنى التى ذكرت... الرحمن والرحيم..

وإن أول آية من آيات الكتاب العظيم يفتتح بها القرآن الكريم الآية الشريفة والتى رقمها واحد فى السورة الأولى هى :

« بِسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » .

وعلى ذلك فأن أول اسم من أسمائه سبحانه وتعالى ورد فى الكتاب الكريم هو الله ... وأول الصفات التى وردت من صفاته جل شأنه هى الرحمن والرحيم .

وإذا كان فى افتتاح القرآن الكريم بهذه الآية الشريفه الأمر لكل مسلم أن يفتتح قراءة القرآن بها فان فيه أيضاً علاوة على هـذا .. التوجيه بأن يفتتح بها أى عمل ويبدأ بها أى قول ، وفيها أيضاً الدعوة إلى دراسة هذه الآية والتمعن فيما تهدف إليه .

والمتدبر للقرآن الكريم .. يجد أن كافه سوره الشريفه تبدأ بعد :

« بِسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ »

فيما عدا سورة واحدة هى سورة التوبه التى تبدأ بدونها ... وقيل

في ذلك أن سورة التوبه امتداد لسورة الأنفال ، فلم تفصل بينهما آيه البسملة ، ولكن الوضع الفعلى فى الكتاب الكريم ،أن الأنفال سورة برقم وأن التوبه سورة قائمة بنفسها وبرقم آخر ... وفى رأى آخر أن سورة التوبه هى سورة الأمر بالقتال لذلك لم تفتتح بالرحمة التى تفتتح بها سور القرآن الكريم الأخرى ، ففى هذه السورة الشريفه نجد الآيات التى تعلن براءة الله سبحانه وتعالى ورسوله من المشركين مثل النص الكريم .

« وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشرِكِينَ وَرَسُولُهُ » .

وكذلك آيات الأذن بالقتال مثل النص الشريف :

« فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرصَدٍ » .

« وَإِن نَكَثُوا أَيمَانَهُم مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا

فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ » .

بل أمرت بالقتال والشدة فيه بمثل النص الكريم :

« قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ » .

وتعلن آيات السورة الشريفة كذلك أن الله سبحانه وتعالى لن يغفر لمن كفروا به جل شأنه وبرسوله وذلك بالنص الشريف :

« اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » .

وتطالب آياتها الرسول صلى الله عليه وسلم بألا يكون رحيما بالفاسقين فلا يصلى على أحد منهم مات ولا يقم على قبره وذلك بالنص الكريم :

« وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ » .

وبالرغم من خلو هذه السورة الشريفة وحدها بما تبدأ به كافة السور الأخرى وهى :

« بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ » .

فإننا نجد أنها تتكرر فى القرآن الكريم مائة وأربعة عشرة مرة لتكون بعدد سوره الشريفة تماما ، إذ أنها وقد خلت منها سورة التوبة نجد أنها وردت مرتين فى سورة النمل ، المرة الأولى كالمعتاد فى باقى السور أى قبل آياتها الشريفة والثانية فى النص الكريم :

« قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ » .

وبذلك يكون عددها مطابقا فى الكتاب الكريم لعدد سوره الشريفة .

كما أننا نجد فى سورة الفاتحة وهى التى يفتتح بها القرآن الكريم والتى يرددها المسلمون فى كل يوم سبعة عشر مرة على الأقل فى صلواتهم يتكرر فيها الرحمن الرحيم فى آيتين من مجموع آيات السورة الشريفة وعددها سبعة .. فى الآية الأولى وهى :

« بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ » .

والآية الثالثة التى تعتبر أول ما يذكر من أسماء الله وصفاته فى القرآن الكريم إذ تبدأ السورة بالنص الكريم :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» .

لذلك كله بل ولبعضه ، يجب على كل مسلم أن يتدبر ويتأمل ويبحث لعله يهتدى إلى ما تشير إليه هذه الصفات التى اهتم بها القرآن الكريم هذا الاهتمام ، الذى يؤكد حرصه على الدعوة إلى دراسة ماتهدف إليه هذه الآية الشريفة ، وما تدل عليه هذه الصفات الكريمة .

لقد تكرر لفظ الرحمة ومشتقاتها ٣٢٥ مرة فى القرآن الكريم ، تكرر لفظ الرحمن منها ٥٧ مرة ، وتكرر لفظ الرحيم ١١٤ مرة ، وذلك بدون إضافة البسملة التى تبدأ بعدها آيات السور الشريفة ، فإذا أضفنا إلى هذا العدد البسملة ، كان لفظ الرحمن قد تكرر ١٧٠ مرة ولفظ الرحيم ٢٢٧ مرة من مشتقات لفظ الرحمة التى يبلغ عددها بذلك ٤٣٨ مرة .

وقد حاول المجتهدون تجلية معنى الرحمن ، وكذلك معنى الرحيم منذ الأزمان البعيدة ، فكان مما تردد به القول ، أن الرحمن هو الذى تتصف ذاته بالرحمة ، فلأن الله هو الخالق ولأنه الرازق ولأنه المعطى فهو الرحمن ، والرحيم لأنه يرحم غيره بالفعل فهو يعفو عن خطايا الناس بالمغفرة .

وفى رأى آخر ، أن الرحمن هو المنعم بجلائل النعم ، والرحيم هو المنعم بدقائقها .. فالله هو الرحمن لأنه أنعم على الإنسان بنعمة البصر فخلق له العين وهو الرحيم لأنه خلق للعين الجفون والأهداب لحمايتها. وهو الرحمن لأنه وهب للانسان الحياة وهو الرحيم لأنه هيأ له كل ما يحفظ له حياته .

وألا يمكن أن يكون المعنى كما قيل « الرحمن هو مانح البركات والرحيم هو الذى يعفو عن السيئات » .

. ولكن ألا يمكن أن يكون فى هذين اللفظين رأيا آخر ،ويشملان معنى أكثر اتساعاً وأبعد عمقاً ؟

ألا يمكن أن يكون الرحمن هو الواسع الرحمة ، والرحيم هو الدائم الرحمة ؟.. وسعة الرحمة أمر تتطلبه الدنيا لما تستوجبه كثرة ذنوب الخلق فمنذ عصى آدم ربه إلى هذه اللحظة إلى أن تنتهى الدنيا وعباد الله يذنبون .. سواء أكان الذنب كبيراً أم صغيرا . . مقصودا أو عن غير عمد فهذه الذنوب التى لا تنتهى فى الدنيا يحتاج أمر العفو عنها وعدم الاسراع فى الحساب عليها الرحمة الواسعة التى تزيد عن هذه الذنوب .. فالله سبحانه بسعة رحمته على الدنيا . وبالعباد فيها هو الرحمن .. واستمرار الرحمة أمر يناسب الحياتين الدنيا والآخرة .. الدنيا التى تنتهى

بدءا . . والآخرة التى تبقى دوما . . فالله سبحانه وتعالى رحمن الدنيا ورحيم الدنيا والآخرة .

ومما يؤيد هذا الرأى أن لفظ الرحيم قد ورد فى القرآن الكريم ضعف لفظ الرحمن تماما فقد تكرر ١١٤ مرة بينما ورد لفظ الرحمن ٥٧ مرة أى أن لفظ الرحمن إن كان يختص بالرحمة فى الحياة فإن لفظ الرحيم إنما يختص بالرحمة فى الحياتين . . الدنيا والآخرة . . وكذلك ما يلاحظ فى عدد ورود لفظ الرحيم إذ أنه ١١٤ وهو نفس عدد سور القرآن الكريم . . والقرآن الكريم إنما يشتمل كافة أمور الدنيا والآخرة .

ومن ضمن ما يؤيد هذا الرأى أيضاً أن معظم الآيات التى ورد فيها لفظ الرحمن تشير إلى الحياة الدنيا مثل الآيات الشريفة :

« قُلِ ادعُوا اللهَ أَوِ ادعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً » .

والخطاب للبشر فى حياتهم الدنيا وبأمرهم بأن يدعوا الله سبحانه وتعالى بلفظ الجلالة أو بلفظ الرحمن .

« وَعِبَادُ الرَّحمنِ الَّذِينَ يمشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً » .

ولا شك أن هذه الآية الكريمة تصف عباد الرحمن فى الدنيا .

« قُلْ مَن يَكلؤُكُم بِالليْلِ والنَّهارِ مِنَ الرَّحمَنِ بَل هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُعرِضُونَ » .

وهذا أمر يخص الإنسان فى الدنيا .

« كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَت مِن قَبلِهَا أُمَمٌ لِتَتلُوا عَلَيهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيكَ وَهُم يَكفُرُونَ بِالرَّحمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِليهِ مَتَابِ » .

وبديهى أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتلو على أمته القرآن الكريم فى الدنيا .

وهذه العذراء مريم تخاطب الملك الذى أرسله الله سبحانه وتعالى ليبشرها بغلام ستنجبه فتقول له :

« قَالَت إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إن كُنْتَ تَقِيًا » .

وهذه حالة كانت فى الدنيا عند هذا الخطاب .

ويرد عليها الملك يوصيها بما تفعله بالنص الكريم :

« فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّى عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِى إِنى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا » .

وهذا فى الدنيا أيضا .

ويقول القرآن الكريم عن حال الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وإبراهيم وإسرائيل ومن هداهم جل شأنه عندما تتلى عليهم آيات الله سبحانه وتعالى فى الدنيا ما نصه :

« إِذَا تُتلَى عَلَيهم آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً » .

بينما نجد أن معظم الآيات التى ورد فيها لفظ الرحيم تشير إلى الآخرة إذ يرد هذا اللفظ بعد المغفرة . والمغفرة إنما تكون فى الآخرة عند الحساب وذلك مثل الآيات الشريفة :

« واستَغْفِرُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

« أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

«اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» .

« أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » .

ويبلغ عدد الآيات التى ورد فيها لفظ الرحيم بعد المغفرة ٧٢ آية .

وفى بعض الآيات نجد لفظ الرحيم قد ورد بعد التوبة الأمر الذى يوحى بأن الرحمة هنا فى الآخرة فالتوبة إنما يكون قبولها وإعلانها يوم الحساب بمثل النص الشريف :

« إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

وعدد هذه الآيات ٨

أو يرد لفظ الرحيم بعد العزة مثل:

« وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » .

وذلك فى ١٣ آية كريمة .

ويجتمع الرحمن والرحيم فى ستة آيات شريفة مثل :

« تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ » ،

.. وذلك فى الآيات التى تبشر باجتماع الرحمة للناس فى الدنيا والآخرة ..

ولقد وضع المجتهدون من المفسرين آراء فى تفسير هذه الآية الشريفة :

« بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ » .

واتفقت هذه الآراء على أنها توجيه لمن يقرأ القرآن الكريم بأن يبدأ القراءة متبركا باسم الله ، ولكن ترى ما السر فى اختيار الرحمن الرحيم واجتماعهما فى هذه الآية التى يبدأ بها القرآن الكريم وكذلك ورودها بعد اسم الله سبحانه وتعالى وله سبحانه الأسماء الحسنى والتى وردت فى القرآن الكريم فى مختلف السور الشريفة وفى نص الآيات الكريمة :

« هُوَ اللهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ هُوَ هُوَ الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ

الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » .

وفى آيات كثيرة مثل :

« رَبُّ السَّموات والأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ » .

« سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ » .

« أم عِندَهُم خَزَائِنُ رَحمةِ رَبِّكَ العَزِيزِ الْوَهَّابِ » .

« إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ » .

« قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ » .

« إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

« وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ » .

« وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ » .

« لَهُ ما فى السَّمَاوَاتِ وما فى الأرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ».

« عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَالِ » .

« فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقّ » .

« اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ » ؛

« هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

ويختلف كل اسم من الأسماء الحسنى فى عدد المرات التى تردد فيها فى الآيات الشريفة ، ولقد تكرر لفظ الجلالة (الله) أكبر عدد فى القرآن الكريم إذ بلغ عدد المرات التى تردد فيها فى القرآن الكريم ٢٦٧٩ مرة فهل ورود هذا الاسم فى أول الآية الشريفة :

« بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ » .

ليكون أول ما يتردد من أسماء الله فى القرآن الكريم لهذا السبب ؟ إن إسم الله سبحانه وتعالى التالى للفظ الجلالة وهو الرحمن ليس هو الاسم الثانى فى عدد مرات تكراره فى القرآن الكريم وليس هو الرحيم وإنما

الاسم التالى بالنسبة للعدد هو (العليم) الذى تردد ١٦٢ مرة بل حتى فى ترتيب ورود الرحمن قبل الرحيم ليس العدد هو السبب لأن الرحيم تردد ضعف ما تردد الرحمن .

فليس ترتيب الأسماء الحسنى فى الآية الشريفة بسبب عددها .. ولا بد أن يكون اختيار هذين الاسمين الكريمين فى الآية بعد إسم الجلالة لحكمة يجب على المسلم أن يحاول الوصول إلى بعضها على الأقل .

فهل يكون من ضمن ما تشير إليه هذه الآية الكريمة هو أن الله سبحانه وتعالى رحمن الدنيا ورحيم الآخرة أنزل القرآن الكريم سبيلا إلى إبتغاء هذه الرحمة فى الدنيا .. وطريقا إليها فى الآخرة ؟ ..

وهل يكون من ضمن ما تدعو إليه هذه الآية الكريمة هو البحث فى ميادين الرحمة لمعرفة آثارها فى الدنيا وعلاماتها فى الآخرة وبعد أن يتأكد الإنسان من إتساع هذه الرحمة وإستمرارها فعلية أن يلتمس أسبابها بالمحافظة على ما تدعو إليه آيات القرآن الكريم والاستجابة لها ؟..

وهل يكون من ضمن ما تشير إليه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى خلق رحمته الواسعة المستمرة قبل غيرها وأنها سبقت فى الخلق كل ما عداها ؟.

وهل يكون من ضمن ما تشير إليه الآية الكريمة أن كل ما يقع

للانسان فى الحياة الدنيا إنما هو رحمة من الله حتى ما يصيبه من ألم إنما هو رحمة ، لأن الألم لابد أن يكون جزاء بعض ماقدمت يد الإنسان. وبه يرفع بعض عذاب الآخرة وعذاب الآخرة أشد وأقسى وذلك بالنص الشريف :

«وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ » .

وهل يكون من ضمن ما تشير إليه الآية الكريمة دعوة الإنسان. إلى الاطمئنان إلى رحمة ربه .. الرحمة الواسعة المستمرة ، ولذلك تبدأ بها آيات الكتاب الكريم كله وطولبنا أن نبدأ بها كل تلاوة حتى يتأكد. معنى الرحمة فى نفس الإنسان ، فأن يبدأ الإنسان باسم الله الرحمن الرحيم. غير أن يبدأ باسم الله العزيز الجبار بالنسبة لما تسببه كل من هاتين. البدايتين من أثر فى النفس وتكون بذلك الآية الشريفة :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

بشرى أرادها الله سبحانه وتعالى للانسان وطالبنا بتلاوتها قبل كل تلاوة للقرآن الكريم حتى تتأكد البشرى فى نفس الإنسان ويكون من ضمن معانيها ما تشير إليه الآية الشريفة :

« قل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

ولماذا لا تشتمل الآية الكريمة على كل هذه المعانى؟.. وهل يا ترى يكون لها أكثر من هذه المعانى التى تتفق كلها فى الدعوة إلى إبتغاء رحمة الله فى الدنيا والآخرة ؟ وهل تحمل سرا من أسرار القرآن الكريم يجعلها تنفرد عن غيرها بأن بها بدأ القرآن الكريم وبها يجب أن تبدأ كل تلاوة منه ..

لقد ورد فى القرآن الكريم أن الملائكة أصحاب النار وهم خزنتها عددهم تسعة عشر وذلك بالنص الكريم :

« وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » .

فهل يا ترى ملائكة الجنة عددهم تسعة عشر أيضاً ؟ لا سيما وليس فى خلق الله من تفاوت وأن كل شىء فى الوجود ، إنما طابعه الإنساق والإتزان فهل هناك ربط بين عدد التسعة عشر وهو عدد ملائكة النار

والذى يحتمل أن يكون عـــدد ملائكة الجنة وخزنتها والآية الشريفة :

« بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

إذ أن عدد حروفها تسعة عشر أيضاً ؟ فهل هذه الآية طريق إلى الجنة ؟..

إن الآية الشريفة إنما هى ذكر لله يقينا وطلب لرحمته ضمنا .. وليس كذكر الله إطلاقا مما يتقرب به العبد لربه فهو أكبر من كل ما يعرفه الانسان وذلك بالنص الكريم :

« اتْلُ ما أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ، إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ » .

.. وليس أسعد للنفس من أن تدعوا دائما بالرحمة وتنتظر رحمة الله فى كل لحظة وحين .

فاذا كان القرآن الكريم قد بدأ بهذه الآية الشريفة كل سوره الكريمة وطالبنا لذلك أن نبدأ بها كل قول أو عمل طالما يبدأ بها أطهر

وأسمى عمل ألا وهو تلاوة كلام الله .. فيا ترى لو استجاب الإنسان لذلك كم يذكر الله فى يومه وليلته ؟.. وكم يرجو رحمته ؟ إن الإنسان إذا صحا من نومه فقد بدأ يقظة فلابد أن يبدأها بهذه الآية الشريفة فاذا قام من فراشه فقد بدأت مغادرته له وبذلك وجب عليه أن يتلوها فاذا سار وجبت تلاوتها فقد بدأ سيره ولا بد أن يبدأ وضوءه وكذلك صلاته فاذا أفطر بدأه بتلاوتها وعندما يرتدى ملابسه فهو سيبدأ بهـا وإذا غادر منزله قائما سيبدأ طريقه إلى وجهته ولذا يجب أن يبدأ بهـا فاذا وصل إلى مقره وبدأ عمله كانت تلاوة الآية الكريمة واجبة قبل أن يبدأ فاذا بدأ الكلام أو بالكتابة كانت :

« بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

هى المقدمة التى يبدأ بها وإذا أزمع على أمر أو استقر على رأى وبدأ تنفيذه فانه يتم ذلك بعد أن يتلو الآية الشريفة ثم إذا غادر مكانه ليعود إلى منزله وإذا بدأ المسير وعندما يدخل داره وعندما يبـدأ خلع ملابسه وكذلك قبل وضوئه وقبل صلاته وعند تناول طعامه .. ويتكرر ذلك فى النصف الثانى من اليوم .. ثم فى المساء والليل .. وهكذا إذا ما تدبر الانسان حاله لوجد أنه دائما فى بداية حال جديد وأنه لو استجاب

لما توجهه إليه هذه الآية الشريفة من تلاوتها فى كل بداية لوجب عليه أن يتلوها فى كل لحظة ممكنة وبذلك يكون فى ذكر لله دائم أليس الإنسان بذلك يذكر الله كثيراً ..

فهل المستجيبون والمستجيبات لهذه الآية الشريفة هم الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ؟.. يقينا هم منهم على الأقل .. وهؤلاء قد أعد الله سبحانه وتعالى لهم خيرا أكثر من كل ما يطمع فيه أى إنسان .. مغفرة وأجرا عظيما .. وذلك بنص الآية الشريفة :

« والذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً » .

.. ولا يستطيع الإنسان إدراك حدود هذه المغفرة ولا يمكن للعقل أن يتصور قدر هذا الأجر ..

فهل إلى ذلك توجهنا الآية الشريفة ؟..

وهلا نستجيب ؟

لماذا خلق الله الإنسان

قد يرى البعض أن أول سؤال دار فى مخيلة الإنسان بعد أن وجد نفسه يعيش على أرض قد مهدت لحياته وتوافرت له فيها كل إحتياجاته هو : من خلقه ؟.. ولم يجد أي صعوبة في الإجابة على سؤاله .. فحيث أنه لم يخلق نفسه ، فلا بد أن غيره خلقه . ولما كان من حوله هو الإنسان الذى يشابهه أو الطير أو الحيوان . . ولما كان هو نفسه لم يخلق هذا الإنسان الآخر ولا الطير أو الحيوان .. فما لا شك فيه أن من خلقه ليس من جنسه ولا من جنس أى كائن قد خلق أيضاً .. وتلفت حوله .. فإذا وجدات الوجود كله بما فيه من شمس وقمر ونجوم .. ونبات وهواء .. وطير وماء .. تحكمها — كما تحكمه هو — قوى خفية تسيطر على كافة شئون الحياة كلها .. فلا بد أن هذه القوى التى قدرت وقررت .. وشاءت فأوجدت .. إنما هى من تقوم الحياة بأمرها .. وهذه القوى لا تترك شأنا فى الوجود أيا كان قدره صغيراً أو كبيراً .. قريباً أو بعيداً .. إلا وترعاه .. الرعاية التامة الكاملة .. فهذا الحجر الصلد قد يحتوى .. بل كثيراً ما يحتوى على دودة صغيرة فلا بد أن يتم بطريقة أو غيرها ما يمكن لها الحياة والاستقرار فى هذا الحجر .. وإذا تعجب الإنسان كيف يتوافر لها الغذاء والماء .. فإنه يجد المثل فى نفسه .. كان جنيناً فى بطن أمه .. ولم يضره ما فيها من

سوائل وإفرازات بل إنها كانت طريق حياته وغذائه .. ولو أنها بعد أن يولد إذا عاش فيها مات يقيناً .. فما يضره فى مرحلة .. يفيده فى غيرها .. وهكذا لم تقم أية صعوبة أمام غذائه ومائه .. فهذه القوى .. قوى مدبرة .. عاقلة .. حكيمة .. رحيمة .

وشاء الله سبحانه وتعالى فكشف للانسان عن حقيقة الوجود عن طريق الفطرة .. وزيادة فى التأكيد أرسل الرسل والأنبياء يبلغونه بهذه الحقيقة .. فلما طابق ما تقول به الرسل على مشاهداته .. فى نفسه وفيما حوله .. وما ينبعث من داخل نفسه .. تأكدت له الحقيقة الأولى فى الحياة وهى أن للوجود ربا .. ووجد الإجابة القاطعة على سؤاله من خلق الإنسان .. وصدق الله العظيم الذى يقول فى محكم آياته الشريفة :

« قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ » .

ويقينا أن هذا السؤال ليس كما يعتقد البعض هو أول ما خطر على ذهن البشر من أسئلة عن الحياة والخلق .. إذ أن هذا السؤال لم يتردد إطلاقاً فى ذهن سيدنا آدم .. فقد عرف تماماً أن الله سبحانه وتعالى خلقه .. وعلمه ما لم يكن يعلم وأمره بما يجب عليه أن يعمل به .. فلما

عصى آدم ربه فى بعض ما أمره به وارتكب ما كان قد نهاه سبحانه وتعالى عنه.. وشاءت إرادة الله جل شأنه أن ينزل آدم وزوجته من الجنة إلى الأرض تلقى آدم من ربه ما يتعلم به كيف يتوب إليه .. فآدم إذاً كان يعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلقه وبديهى أن ما يقال عن آدم إنما ينسحب على زوجته .. وأنهما يقينا علما أولادهما ما كانا قد تعلماه .. واستمر هذا العلم ينتقل من أجيال إلى أخرى ، الله وحده أعلم بعدتها .. إلا أن حجبت المادية المظلمة أنوار القلوب فعميت البصيرة ووجد الجيل الذى تساءل بعض أفراده .. ترى من خلق الإنسان؟..

ولعل السؤال الذى سبق ذلك .. هو لماذا خلق الله الإنسان ؟ .. فهل ياترى ردد سيدنا آدم هذا السؤال .. على نفسه ؟ أم أنه عرفه فصمت .. أو أنه لم يعرف فسكت .. أو أنه عرف وأبلغ أولاده ثم أحفاده .. إلى أن ارتفعت الاجابة من قلوب الناس .. وعقولهم ..

لماذا خلق الله الإنسان ؟.. هذا هو السؤال الذى ظل العلماء والفلاسفة يبحثون لعلهم يجدوا الاجابة الشافية التى يرتضيها الجميع .. وإن الاجابة عليه .. لم يتفق عليها العلماء والبحاث بعد.. وكل ماوضع فى الإجابة عليه إنما هو من قبيل الإجتهاد الفردى .. والقول بالرأى

الشخصى ... ومما يؤكد قدم هذا السؤال أننا نجد مثل هذه المحاولات قديمة بل وممعنة فى القدم حيث كانت موضع دراسة الفلاسفة ورجال الفكر منذ عصور التاريخ الأولى .

إن أكثر ما تردد من الآراء فى الإجابة على هذا السؤال .. هو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعرف فى هذا الكون فخلق الإنسان.. فهل عرف الله بالإنسان ؟ .. إن الله جل شأنه خلق أعداداً من النجوم والكواكب وما أمكن حتى الآن معرفته هو العدد القليل الضئيل منها والذى لايعتبر شيئاً .. وبالرغم من ذلك فإن هذا العدد الذى أمكن رصده أو معرفته لا يمكن قراءته أو كتابته فهو يبلغ بضع عشرات من الأرقام لا هى ملايين ولا ملايين الملايين ولكنها أكثر من ذلك .. وما لم يتمكن الإنسان من معرفته بعد .. والذى لا يمكنه معرفته لفرط بعده إلى درجة لا تخطر على البال .. أضعاف أضعاف ذلك .. هذه النجوم والكواكب لها مساراتها وحركاتها الدقيقة المنظمة . ويقول العلم أن هذا الكون قديم .. وقديم جداً .. إلى درجة لا يتخيلها أى إنسان .. فهو هكذا يقوم منذ عدد من السنين يعتبر من قبيل الحدس والتخمين .. ملايين الملايين من السنين .. وكل ما يقول به الإنسان قد لا يكون صحيحاً .. فليس فى قدرة الحساب والرصد الإجابة على هذه

الأسئلة .. ولقد ظلت هذه الأعداد من النجوم طوال هذه السنين وهى تسير فى نظام محكم دقيق .. لا تحيد عنه لمسة ولا تتأخر فيه لحظة. وكل ذلك إنما إمتثالا لأمر الله . . واستجابة لإرادته . . وفى مجموعتنا نحن وهى التى نعيش فى أحد كواكبها . . نجد الشمس . . ونرى القمر . . وليس من دليل أبلغ من دليل الرؤية بالعين .. والعين المجردة .. هذه الشمس يراها الإنسان منا طوال حياته لا تغير موعد شروقها . . ولا تخلف زمان غروبها .. ولا تخرج عن خط سيرها .. إطلاقا ... بل إن الإنسان وقد وجد أن لها فى كل يوم موعداً لا تخلفه ... اتخذ من موعد شروقها ... وغروبها ... وخطوط سيرها ما ينظم به وقته ... ويضبط عليه توقيته .. وهذه الأرض يعيش عليها الإنسان طوال عمره فيجدها وهى تدور بنظام ثابت وحركة رتيبة .. إن الشمس والأرض والقمر والنجوم .. إنها كلها مسخرة بأمر الله .. وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » .

وهى فى طاعة تامة لله سبحانه وتعالى .... طاعة اختيارية فالله

سبحانه وتعالى عندما أمرها أن تأتى طواعا أو كرها اختارت الطواعية وذلك بنص الآية الكريمة :

« ثم استوَى إِلَى السَّماء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وللأَرضِ إئتيا طوعًا أو كرهًا قَالَتا أَتينا طَائِعِينَ » .

وهذه الرياح التى ما توقفت عن التسبيح لله لحظة . . والأشجار والنباتات التى ما عصت الله مرة . . والأمطار التى ما خالفت أمر الله برهة . . أليست كل هذه وما شابهها هى مكونات الوجود ؟ . وأليست كلها فى ذكر دائم مستمر لله . . ؟ وتسبيح كامل متصل له . . ؟ وأليست هى شواهد قائمة تدل عليه ؟ . . وأليس بهـا يعرف الله ؟ . . وهل بالإنسان يعرف الله . . ؟ وقد خلقه جل شأنه ونعمه وأكرمه وأعطاه ومنحه . . وبالرغم من ذلك نجد من بين بنى الإنسان من يقف ليخرج أبشع ما يمكن أن يتصور من قول . . فيقول أين الله . . ؟ وينكر وجوده . . بل ويسوق سخيف الأدلة وباطل الشهادة على فاسد الرأى . . ونسى . . من خلقه . . ومن يرزقه . . ومن يحفظه من أمر نفسه . . وأمر الناس . . وأمر الوجود وليس من يقول ذلك فى العالم فرد أو أفراد . . بل نجـدهم جماعات . . وليسوا فى زمن واحد . . بل فى كل الأزمنه . . فهل بعد ذلك نقول أن

الله خلق الإنسان ليعرف فى الكون ..؟ وبعد أن تبين أن الإنسان هو الوحيد من وحدات الوجود الذى قد ينطق بعض أفراده بكلمة الكفر أو الشرك . . وهو الوحيد منها الذى عصى ربه منذ أول لحظة خلقه .

وقد يرى البعض أن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الإنسان للعبادة وذلك إعتماداً على النص الشريف :

« وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنسَ إلاّ ليَعْبُدُون » .

ويرى البعض الآخر أن معنى الآية الكريمة لا ينصرف فقط إلى أن عمل الجن والإنس فى الحياة محدد بعبادة الله أى إقامة شعائر العبادات وإنما الآية الشريفة تشير إلى أن كل الجن والإنس ومن خلقهم الله سبحانه وتعالى إنما عبيد لله .. وفى موضع العبودية . . فوجب بنص الآية الكريمة ألا يتخذ البعض غيرهم أربابا من دون الله سبحانه وتعالى .. فهؤلاء الذين يعاملون ملوكهم أو كهانهم معاملة العبيد لله .. قد أشركوا يقيناً .. وكل من إلتمس عند غير الله ما يجب أن يلتمسه منه سبحانه وتعالى وحده من رزق أو عمل أو خير أو دفع شر .. إنما قد أشرك .. إذ أنه قد اتخذ ممن خلقهم الله أربابا وكأنه عبد لهم . . وما خلق الله سبحانه الجن .. أى جن . . والإنس .. كل إنس .. إلا عباداً له ..

وما أسعد أن يكون الإنسان عبداً لله .. فهذا هو منتهى ما يطمع فيه .. عبداً مخلصاً لله .. إذ أن عبدالله المخلص هو السعيد فى الدنيا والآخرة .. فإذا كان الإنسان فى الحياة الدنيا إذا استشعر الأنس من كبير أو وجد حبه عند قوى . . أو أخلص فى علاقته بخطير نجده قد هدأت نفسه وأنشرح قلبه وإطمأن إلى يومه . . وذلك بالرغم من أنه فى ذلك مخطىء وواهم يقينا .. فلا يستطيع الكبير أو القوى أو الخطير أن يدفع شراً . . أو يجلب خيراً .. لم يرده الله . . فيا ترى كيف به لو أحس بالأنس بالله .. ولمس حب الله له .. وبذل من نفسه الإخلاص لله .. كيف يكون حاله ؟. وكيف تصبح أيامه وتصير لياليه ؟. وهكذا تكون الآية الشريفة إنما تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الإنسان ليسعد بأن يكون عبداً لله وحده .. ولا يعرف هذه السعادة إلا من أخلص العبادة لله وأفرغ من قلبه كل تعلق إلا به .. ولذلك دعت آيات القرآن الكريم إلى الإخلاص فى العبادة فى مثل نص الآيات الكريمة :

« قُل إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ »

« قُلِ اللَّهَ أَعبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِى » .

وإذا ما وصل الإنسان إلى هذه المرتبة التى يجب أن يعمل من أجلها كان فى رحمة الله فى الدنيا والآخرة فالله قد اصطفى عباده المخلصين فجعلهم فى أمان من غواية الشيطان بنص الآية الكريمة :

« قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ » .

ووعدهم بالنجاة والمغفرة والفوز فى الآخرة وذلك بنص مثل الآيات الشريفة :

« فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ » ، « فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ » .

بل إن عباد الله المخلصين قد امتازوا على غيرهم بما لا يمكن تخيله ويكفى أن يتلو الإنسان بعض الآيات الشريفة التى تصف حالهم فى الآخرة ليعرف قدرهم فيها وذلك بالنص الكريم :

« وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ

الْخلَصِينَ . أُولئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ . فَوَاكِهُ وَهُم مُكْرَمُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ . يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَعِينٍ . بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ وَعِنْدَهُم قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ . كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ » .

والمتأمل فى آيات القرآن الكريم التى وردت فيها عبادة الله يجد أن كل الآيات التى وردت فيها العبودية منسوبة لله سبحانه وتعالى مثل عبادى وعباده وعبادنا كلها آيات تفيض بالرحمة والإحسان والعفو والمغفرة مثل :

« إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ » ، « نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » ، ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ » ، « وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » ، « سَلاَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ .

كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ » ،
« مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ
نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَشَاءُ مِن عِبَادِنَا ».

وكذلك العباد فى مثل الآيات الشريفة :

« وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ » ، « إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن
كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ
يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا » .

بينما الآيات التى ورد فيها لفظ العبيد فقط كلها آيات الحساب
والعقاب مثل :

« لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ
أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ
لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ » ، « قَالَ لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ

إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ . مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .

وفى هذا البيان الواضح للفارق بين العبد المخلص لله .. وغيره من العباد .. وأما الذين يستكبرون عن عبادته سبحانه وتعالى .. وهم فملا عباد شاءوا .. أو كفروا .. فقد أورد القرآن الكريم جزاءهم فى مثل الآية الشريفة :

« إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » .

وبذلك فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليعمل ويطلب الرزق ويسعى من أجله على أن يكون فى ذلك كله عبداً مخلصاً لله .. شاكرا له كل ما ينال .. مؤمناً بأنه وحده جل شأنه الرب الذى منحه .. والله الذى أعطاه .. وأن يقوم بكل مستلزمات العبادة من فرائض على أن يكون فى أدائها مخلصاً .. وعليها محافظا ..

وحتى تتأكد فى الإنسان عقيدة العبادة ويفوز بأجرها فقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء على فترات من الزمن وما كانت

دعوتهم جميعا إلا لأن يكون الإنسان عبداً مخلصاً لله وذلك بنص الآية الشريفة :

« وَلَقَد بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعبُدوا اللّهَ » .

وما من قوم إلا وأرسل الله لهم الرسول الذى يدعوهم إلى عبادة الله .. وذلك بنص مثل الآيات الكريمة :

« وَلَقَدأَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُم صَالِحًا أَن اعبُدُوا اللّهَ ، »

« وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُم شُعَيبًا فَقَالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا الله » ،

« وَإِلَى عادٍ أَخَاهُم هُودًا قَالَ يا قَومِ اعْبُدُوا اللّهَ » .

وما أسهل الطريق ليكون الانسان عبداً مخلصا لله .. فيتحقق له الهدف من خلقه إذ يحس بالرحمة فى الدنيا وينعم بها فى الآخرة .. فقد خلق الله الإنسان رحمة منه ورحمة به ..

وقد يرى البعض أنه لما كانت للانسان حياة قبل أن تسكن روحه فى جسده إذ عندما كان البشر أرواحا مجردة وقبل أن تنزل فى الأجساد أشهدها الله سبحانه وتعالى بما يجعلها تؤمن وتشهد به جل شأنه .. حتى تظل هذه الروح على بينة من أمرها .. مؤمنة بربها .. مطمئنة إلى خالقها

فلا يأتى اليوم الذى يعتذر فيه الإنسان وروحه كانت فى جسده يوما بأنه غفل عن المشاهدة أو أنه كان يرى الآباء قد أشركوا وضلوا الطريق .. وفي ذلك يقول القرآن الكريم عن حالة حياة الأرواح قبل نزولها فى الأجساد .

« وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلَى أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى شَهِدنَا أَن تَقُولُوا يَومَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَافِلِينَ . أَو تَقُولُوا إِنَّمَا أَشرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعدِهِم أَفَتُهلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المبطلونَ » .

ولذلك نجد أن الطفل يولد وهو يؤمن بالله إيمانا فطريا قويا جارفا يملأ عليه كل حواسه ونفسه وأن هذا الطفل لو لم تصله أية رسالة أو يتصل به أحد إطلاقا فإنه ينشأ مؤمنا بالله إيمانا لا يتزعزع .. وأن ما قد يثير فيه الشكوك هو ما يستمع إليه من ضلال الملحدين وما يصل إليه من فلسفة الماديين وظلام المشركين ..

وكل ما قد يثار في نفس الإنسان من شكوك إنما هي وساوس يلقيها الشيطان في نفوس بعض الناس فمن كان ضعيفا في إيمانه أو مشغولا عن ربه فقد يجد لهذه الوساوس صدى في نفسه واستجابة في قلبه فيعمد إلى نشرها .. وغالبا ما تكون وسوسة الشيطان للانسان فيما يظهره له فيه بمنفعة عاجلة أو صورة براقة مع تيسير السبيل اليها .. فكم يوسوس الشيطان للانسان مثلا أن يشرب كأسا من الخمر .. فقد يكون فيها الشفاء لوعكة في جسمه .. أو الراحة من تفكير في نفسه . وماذا تضر الكأس الواحدة . فلتكن مرة.. ثم تقلع عنها . ولماذا هذا الصديق وذاك .. يشربون . ويعربدون . . ألا تجد أنهم سعداء .. عليك إذا بكأس واحدة .. لمرة واحدة .. أو غير ذلك من الذنوب . . والآثام . . كبيرها وصغيرها . . والذنب مرة والخطيئة واحدة .. ثم يبدأ الشيطان في تزيين العودة إليها .. ويظل الإنسان بذلك .. تحت تأثير غواية الشيطان ... حتى يتوب إلى الله التوبة الصادقة الخالصة ... أو والعياذ بالله ... يظل على حاله ... إلى أن يلقى الله ... مذنبا .. وقد استجاب آدم لغواية الشيطان الذى وسوس له ... وهو في الجنة بأن الشجرة التى نهاه الله سبحانه وتعالى عن أكلها هي شجرة الخلد... فأكل منها آدم ... طلباً للخلد ... ثم تبين كذب إبليس عليه ... وندم آدم على خطيئته ... فأراد الله جل شأنه أن يرفع من على ذرية آدم

ذنب الخطيئة وآثارها ... فكانت فرصة الحياة الدنيا للبشر ... ليهتدوا بما يرسله الله لهم جل شأنه من رسل ... ويغالبوا الشيطان ... فلا يستجيبوا له ... فمن استجاب لداعى الله ... وغالب الشيطان فقد فاز فى الدنيا وفى الآخرة ... وهكذا يكون الإنسان قد خلقه الله سبحانه وتعالى رحمة منه ... ورحمة به ... وليعرف الشيطان أن لله عبادا يطيعونه ويؤمنون به ... ويرجون ثوابه ... فكما ينال الشيطان وأعوانه أشد العقاب ... كذلك ينال العبد المؤمن المطيع ... أفضل الجزاء ...

وقد يرى البعض أن الأصل فى كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى هو سكنى الجنى ... الجنة التى لا يمكن أن تخطر حقيقتها على عقل البشر ... وأن آدم وزوجه والملائكة جميعاً ... إنما كانوا جميعا فى الجنة ... أصلا ... وأن آدم وقد ارتكب وزوجته ماجعلهما لا يصلحان لسكنى الجنة فعلا ... فقد هبطا إلى مستوى أقل مما كانا فيه يتناسب وحالتهما بعد المعصية ... فلما ندما وحزنا وأسفا ... وتابا ... قبل الله توبتهما ... وبذلك فعلى كل ذرية آدم أن تعمل لتعود إلى الجنة فالله سبحانه وتعالى إنما يدعو عباده إلى ذلك بنص الآية الكريمة :

« وَاللهُ يَدْعُوا إلى الجَنَّةِ والمَغْفِرَةِ بِإِذنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ » .

فهل يا ترى يتصرف الإنسان فى الحياة تصرف الراغب فى العودة إلى الجنة أم ترى قد كتبت عليه الشقوة فيزداد فى المعصيه ويبتعد عن الجنة إلى النار التى أعدت للشياطين ومن يستمعون إليهم ويستجيبون لهم ... ولذلك فالحياة الدنيا هى فرصة الإنسان ليعود إلى الجنة مرة أخرى ... ومهما كانت أيامها قصيرة أو طويلة ... للحظات أو أعوام فهى إلى نهاية سريعة مؤكدة بعدها يعرف الإنسان هل قدم ما يسمح له بالعودة إلى حيث كان أصله ويستمع إلى الأمر الكريم :

« ادْخُلوا الجَنَّةَ أَنتُم وَأَزْواجُكُمْ تُحبَرُونَ . يُطَافُ عَلَيهِم بِصِحَافٍ مِن ذَهَبٍ وَأَكوَابٍ وَفِيهَا ما تَشتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذ الأَعيُنُ وَأَنتُم فِيهَا خَالِدُونَ . وَتِلكَ الجَنَّةُ التِي أُورِثتُمُوهَا بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ » .

أم ترى يذهب إلى حيث يعيش مع من أضل الشيطان من جنسه

ولذلك فإن الله جل شأنه قد حــذر الإنسان من فتنة الشيطان حتى لا يمنعه الجنة كما أخرج أبويه منها وذلك بنص الآية الكريمة :

« يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ » .

ولذلك خلق الله الإنسان فى الدنيا ... رحمة منه ... ورحمة به ... حتى يسلك الطريق الذى يعود به إلى الجنة بعــد أن يجاهد الإنسان الشيطان ويصبر على ما قد يناله فى الدنيا إيمانا واحتسابا ... وذلك بنص الآية الشريفة :

« أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّــةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْــكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ » .

وقد يرى البعض أنه لمــا كان كل ما فى الوجود إنما هو مسخر للانسان يقينا وأن كل القوى التى يحس بها من حوله والتى تسيطر على

الـكون إنما هى فى خدمة الإنسان وصدق الله العظيم الذى يقول فى كتابه العزيز :

« وَسَخَّرَ لَـكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَـكُم الشَّمْسَ والقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَـكُمْ اللَّيْـلَ والنَّهَارَ » .

وأنه إذا أمعن النظر حقا فى السماء أو الأرض لوجد أن كل مافيها إنما هو مسخر له وصدق ما تقول به الآية الـكريمة :

« وَسَخَّرَ لَـكُمُ مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَـكَّرُونَ » .

وأن الله سبحانه وتعالى علم الإنسان ما يتمكن به من ممارسة الحياة ممارسة كاملة ناجحة ... بل إنه جل شأنه علم الإنسان ما جعله يتفوق به على الملائكة فى ميدان هذا العلم وذلك بنص الآية للشريفة :

« وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِـكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَـــاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين . قَالُوا

. سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » .

وأن الله سبحانه وتعالى قد عم فضله وشملت رحمته الإنسان فى كل أحواله فإنه إذا ألقى البذر فى الأرض فإن الله سبحانه وهو الذى يزرعه بأمره وأن الماء الذى ينتظره الإنسان ليقضى به حاجته ويحافظ به على حياته فالله سبحانه وحده هو الذى ينزله من السماء ... والنار التى تعتبر أساساً لحياته ... هل يمكن للانسان إلا أن يعترف أنها من أمر الله ... وهكذا فى كل ما حول الإنسان ... وفى ذلك تقول الآيات الكريمة :

« أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ . أَأَنتُم تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ » ، « أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ » ، « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ » .

فكأن الحياة الناعمة الهادئة الرغيدة إنما هى القصد والقصد العمد من خلق الإنسان وما أجمل الحياة الدنيا ... أيا كان طعمها ... أو

شكلها ... أو لونها ... وما أشد تعلق الإنسان بها ... ومحاولة الحفاظ عليها ... فالإنسان أيا كانت ظروفه ... ومهما كانت قيمة حياته ... نجده يتلمس أسباب بقائه فيها ... ويرجو لو تطول أيامه بهـا ... وقد تمر بالإنسان لحظات مؤلمة فى الحياة .. كفشل أو مرض ... أو خسارة ولـكن الساعات الطويلة السعيدة الأخرى ... كفيلة بحجب آثارها... وإزالة بصماتها ... فالحياة الدنيا حيث أراد الله سبحانه وتعالى للانسان، أن يعيش فيها لفترة زمنية محدودة إنما جعلها متاعا للانسان ... وأيا كان شكل الحياة ... فهى بالنسبة له متاع وفى ذلك تقول الآية الـكريمة :

« وَلَـكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » .

وهذا المتاع الذى هو إلى حين ... إنما يتناسب ... وعمر الحياة فى الدنيا ... وأما المتاع الآخر ... فلا بد أن يتناسب وعمر الحياة الآخرة وليس لها نهاية ... فـكأن الإنسان إنما خلق فى الدنيا ليعيش فى متاع إلى حين ثم ينتقل إلى متاع أكبر ... ومن سعادة إلى سعادة أشمل ... ومن رحمة إلى رحمة أوسع ... وهكذا خلق الله الإنسان رحمة معه ... ورحمة به ...

وقد يرى البعض أنه لما كانت الحياة ليست وقفا على هذه الأرض كما كان يظن من قبل ، بل إن الحيـاة فى كل مكان من الوجود ،

والأحياء تعمر بهم وحدات هذا الكون ... والكون الذى نعرفه إنما هو واحد من عدد لا يمكن أن نتكهن به من أكوان أخرى ، وكلها تتميز بوجود الحياة والأحياء فيها ... فلا بد إذاً من اختلاف ألوان الحياة وأشكالها ، وتباين حالات الأحياء وقدراتها ومعارفها ... فيا ترى على أى درجة بين المخلوقات العاقلة الموجودة فى الكواكب الأخرى يكون الإنسان ؟... وما مركزه بين هؤلاء الذين يعيشون فى الأكوان الأخرى التى لا نعرف عنها حتى الآن شيئا ؟... ولو من قبيل الحدس والتخمين ...؟ إن القرآن الكريم يقول فى آياته الشريفة :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً » .

والآية صريحة وواضحة وتقرر أن الله سبحانه وتعالى إنما كرم الإنسان الذى يعيش على هذه الأرض ورزقه وفضله على كثير من خلق الله ... والتفضيل على كثير ممن خلق الله ... لا يعنى التفضيل المطلق على كل ما خلق الله ... أى أن الآية الكريمة تشير إلى أن هناك غير الإنسان يقينا من المخلوقات قد فضلهم الله على الإنسان تفضيلا

أكبر مما فضل به الإنسان ... فيا ترى أين يعيش هؤلاء ؟... وفى أى كوكب ؟ ... وأى كون ؟ .. وما درجة معرفتهم بربهم ؟... وطاعتهم له ... وفى أى أنوار يعيشون ؟...

وبديهى أن هناك كثرة من المخلوقات تقل عن الإنسان ... يقف على رأسها ... الشيطان وأعوانه ... والكون الذى يضم الإنسان ويضم هؤلاء الذين فاقوا الإنسان فى كل أحواله ... وهؤلاء الذين يتميز عنهم الإنسان فى كل حالاته ... إنما يستلزم أمره أن يكون لكل فئة من هؤلاء ... الوجود الذى يناسب ما عليه كل منهم ... ولا يعرف الإنسان أى شىء إطلاقا عن حالة الوجود الذى يعيش فيه هؤلاء الذين يمتازون عن الإنسان . كما لا يعرف حالة الوجود الذى تعيش فيه الشياطين ... وأما الوجود الذى يعيش فيه الإنسان فقد عرف عنه شيئا ويقينا أن ما يعرفه عنه ... هو أقل القليل من حقيقته ... فما يعرفه هو الظواهر والمشاهدات النظرية للأرض التى يعيش عليها ... والشمس التى تلف حولنا ... والقمر الذى يشرق ويغرب عنها ... والهواء الذى يغلفها والبحار والمحيطات التى تغمر أغلب جسمها ... فهل ياترى بالتالى تكون الأرض ... أفضل من كثير من الكواكب الأخرى وأقل من غيرها التى تعيش فيها المخلوقات الأفضل ؟... وهل يا ترى فترة الحياة الأرضية ... تكون فترة إعداد للانسان يتم بعدها الانتقال

اما إلى حيث يعيش مع الأفضل منه ... أو مع الأقل منه على حسب عمله ... وإلى زمن الله وحده أعلم به ... فكأن الإنسان إنما يعيش فى الدنيا ... وسطا بين حالين ... وفى حياة تتوسط حياتين حياة أفضل من حياته ... وأخرى أقل منها ... وهو بعمله فى الدنيا يشق الطريق إلى إحداها بعد أن كشف الله سبحانه وتعالى له عنهما وذلك بنص مثل الآية الكريمة :

« وَهَدَيْنَاهُ النَّجدَيْنِ » .

فهل تكون هذه هى حياة البرزخ ... أم قبلها ... ذلك إن صح هذا التعليل واستقام هذا التقدير ... وتكون هذه هى الحياة الروحية قبل البعث ...

وقد يرى البعض أنه لما كان الوجود وحدة واحدة فقداستلزم ذلك وجود الأرض باعتبار أنها إحدى حلقات المجموعة التى تتكون منها مجموعات أخرى تتكون من مجموعها أحد وحدات هذا الكون العجيب ... كما استلزم الأمر قيام الحياة الأرضية وما فيها من أحياء ... ولذلك وجب وجود من يباشر مختلف شئونها ... لذلك خلق الله الإنسان لهذه المباشرة ... ويؤيد ذلك النص الشريف :

« وَإذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنى جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ

خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ».

والخلافة معناها تنفيذ كل ما أمر به وأراده الله سبحانه وتعالى. ومراعاة اتخاذ كافة الإجراءات التى تحقق الهدف من كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى ... فكل من عدل مع الناس ومع نفسه وكل من سعى فى الأرض ليعمرها فى أى قطاع من التعمير وكل من حافظ على حياة الناس وأموالهم وأعراضهم ... فهو خليفة لله فى الأرض ... وكل من ظلم الناس أو ظلم نفسه أو سعى فى خراب الأرض بأى صورة كان هذا الخراب ... أو قتل نفساً بغير ذنب أو اغتصب ما ليس حقه. فقد تمرد على الأوامر وخرج على واجبات الخلافة ... وعن طريق تصرفه فى شئون خلافته تكون درجة محافظته على قيام الحياة كما أرادها الله سبحانه وتعالى فى الأرض التى هى حلقة مهما كانت درجتها ... فى سلسلة وحدات الكون الرهيب والذى يجب أن تقوم فيها الحياة ... بالصورة التى أرادها الله ... فالله سبحانه وتعالى إنما خلق الإنسان خليفة فى الأرض ليقوم على شئونها بما أمره الله به ...

وقد يرى البعض أنه كانت هناك حياة سابقة قائمة بصورة ما

لا يعرفها الإنسان وفى عالم لا يدركه وعلى درجة لم يرد عنها شيء ...
وفى هـــذه الحياة السابقة كان الوجود كله يعيش فيها عيشة العبادة
والطاعة ... كالملائكة ... فمنهم الساجدون سجودا دائما ... ومنهم
المسبحون تسبيحاً متصلا ومنهم الذاكرين ومنهم الراكعون ومنهم
المستغفرون .. ولا عمل لهم جميعا غير العبادة الخالصة ... فلما عرض الله جل
شأنه عليهم جميعاً ... العقل والمعرفة والتكاليف ... وذلك بأن يمنحهم
العقل الذى يعرفونه به ... ويبصرهم بما يرسله لهم من الرسل بالطريق
إليه ... ويأمرهم بما يكلفهم به ... وينطلقون بعدها إلى الدنيا ...
لتجذبهم بمفاتنها وتدعوهم بمباهجها ويظلون فى صراع فى دنياهم بين
الأمانة التى يحملونها وبين الخيانة التى يزينها لهم الشيطان ... كان
الإنسان هو الذى قبل أن يحمل هذه الأمانة بعد أن أشفقت من حملها
السماوات والأرض والجبال وذلك بنص الآية الشريفة :

« إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ
ظَلُوماً جَهُولاً » .

وبذلك خلق الإنسان فى الدنيا ومنحه الله سبحانه وتعالى العقل والبصر والبصيرة وأعطاه الادراك ... فهو الوحيد من الكائنات الموجودة فى الدنيا والذى يستطيع التمييز عن طريق الفهم والتعقل والإدراك ولذلك فإن حسابه على ما فعل إنما سيتم على قدر ما أدرك وبنسبة ما عقل ... وبعد أن أعطى الإنسان العقل وحمل الأمانة وعرف طريق الخير والشر ... كان لا بد من الجزاء ... ولذلك نجد الآية اللاحقة للآية الكريمة السابقة تحمل هذا المعنى وتقرر النتيجة بالنص الشريف :

« لِيُعَذِّبَ اللهُ المنَافِقِينَ والمنَافِقَاتِ والمشْرِكِينَ والمشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى المؤْمِنِينَ والمؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً » . .

وهكذا خلق الإنسان فى الدنيا وله العقل الذى يدبره ... وعرف الطريق الذى يجب أن يسلكه ... والطريق الذى يجب أن يبتعد عنه فهى دار اختبار لقدر ما حمل الإنسان فيها من الأمانة وصانها ... وفى ذلك تقول الآيات الشريفة :

« إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمشَاجٍ نَبتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ

سَمِيعاً بَصِيراً . إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً . »

وقد يرى البعض أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان فى الدنيا ليعده إعداداً مناسباً لما سيكون عليه فى حياته الأخرى ... وأن الإنسان إنما تم معرفته على مراحل زمنية متفاوتة ... فكان سابقاً على وجوده الذاتى فيما لا يعرف الإنسان ثم استقر فى جنين صغير فى رحم الأم لمدة محدودة ثم خرج إلى الحياة الدنيا ليستقر فيها لفترة زمنية معينة بعدها يغادرها إلى الحياة الثانية ... ولما كان التناسب والإتزان هو طابع كل ما خلقه الله ... فإن نسبة سعة الحياة الثانية بالنسبة للأولى هى نسبة الحياة الدنيا إلى رحم الأم ... ومعرفة الإنسان فيها بالنسبة إلى معرفته فى الدنيا كنسبة معرفته فى الدنيا إلى معرفته فى الرحم وهو جنين ... ثم تحدث مرحلة أخرى بعد الحياة الثانية نسبة سعتها ودرجة المعرفة فيها بما يطابق نفس النسبة السابقة وقيل إن هذه مرحلة الإنتقال من البرزخ إلى الحياة الخالدة حيث تكون الحياة فيها لا نهائية إذ أن النسبة تؤكد ذلك فعلا وتطبيقا ... وقيل إنها تتم على أكثر من مرحلة من سماء إلى أخرى وكل ذلك إنما علمه عند الله سبحانه وتعالى وحده ولم يخص أحدا

من خلقه بشيء من هذا العلم فهذا القول إنما هو إجتهاد مجتهد يسأل الله فيه المغفرة إن أخطأ أو أصاب ... فالحياة الثانية التي تبدأ منذ الموت إنما هي من الغيب الذي يجب أن نؤمن به كما جاء بلا تفصيل أو توضيح إذ أن العقل في الحياة الدنيا لا يتسع ولا يحتمل أن يفكر فيما هو أعلى منه وهذا الغيب ... ككل الغيب فوق العقل البشري الدنيوي ... وعلى ذلك فالإنسان إنما خلق في الدنيا ليرى بعينيه آيات وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته التي تشير إلى عظمته وجماله ولطفه ورحمته وبره وعفوه وقدرته فينتقل منها إلى الحياة الثانية وهو على درجة من المعرفة تمكنه من متابعة الحياة فيها بما يشاهد من أسرار أخرى وشواهد عظمى وتتسع أمامه دائرة الملكوت فلا يضل في الطريق ولا يتعثر في السير فمن استمرار الحياة في الدنيا والآخرة يقول القرآن الكريم :

« وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ »

والآية الكريمة لا تعني كما قد يقول البعض أن استمرار الحياة وقف على من يقتل في سبيل الله فقط ولكنها تعني أن الحياة مستمرة لكل من مات وكذلك الرزق ولكن من قتل في سبيل الله يمتاز عن غيره

بالفرح بما نال من الإستشهاد وبالإستبشار بمن يسيرون فى طريقهم، أن الله سيكتب لهم ما يذهب خوفهم ويمنع أحزانهم وذلك بنص الآيات، الملاحقة للآية الكريمة التى توضح وتؤكد هذا المعنى وهى :

« فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِن خَلْفِهِم أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وعن قدر الحياة الآخرة يقول القرآن الكريم :

« وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْو وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

وعن إعداد الإنسان فى الدنيا ليشاهد فى الآخرة نجد القرآن الكريم، يطالب الإنسان بالتمعن فى كل ما يزيد من معرفته بربه وذلك بمثل النص الشريف :

« قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ » .

والبصر المطلوب ليس هو الرؤية بالعين ولكنه الرؤية بالقلب أى رؤية الشواهد والأدلة وإيمان النفس بها واطمئنان القلب إليها .. . وتصديق الجوارح بها .. وذلك بنص الآية الكريمة :

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » .

ومن لم يبصر هذه الآيات فى الدنيا سيضل الطريق فى الآخره وسيكون فيها كذلك أعمى بل وأضل سبيلا وذلك بنص الآية الشريفة :

« وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا » .

فإذا ندم الإنسان وتأسف وتساءل كيف عميت عليه هذه الآيات فإن القرآن الكريم تولى عنا بيان ما سيجاب عليه فى النص الكريم :

« قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا .

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى » ..

ولكن ترى ما هو الهدف من ذلك ؟. ولماذا خلق الله الإنسان .. ويعده فى الدنيا للحياة الأخرى ؟.. إن الدنيا ليست بذلك هى الغاية ولكن الغاية هى الآخرة .. والآخرة لا سبيل إلى وصفها بالمقارنة مع الدنيا .. فإذا كان الإنسان الذى يرى طائراً صغيرا جميلا ويرى عناية الله ترعاه فى كل شئونه يظل سعيداً طالما هو يتأمل هذا الطائر ويتفكر فيه وإذا رأى وردة جميلة تخرج من الأرض وهى تمايل لتتفتح عن أريجها ... وجد الحياة بأجلى معانيها وأبهج صورها وأجمل ألوانها تتمثل فى هذه الوردة ، فكم يحس عندها بالسعادة ؟. وإذا رأى شمساً تطل فى استحياء عند الشروق ... أو تودع فى إستئذان عند الغروب ... وإذا استمع إلى موج البحر الذى لا يهدأ فهو أبداً فى همهمة ... وإذا أنصت إلى الريح الذى لا يصمت عن الحفيف . . وإذا تأمل وتدبر وجد السعادة تغمره .. جارفة فياضة .. فياترى كم سيكون قدر سعادته فى الآخرة بعد أن يرى الشواهد الأوفى والآيات الأكمل .. فى الحياة الأكبر .. ؟ إذاً فالقصد هو إسعاد الإنسان إلى أبعد حد .. وأكبر طاقة .. فى الدنيا على قدرها .. وفى الآخرة على حسب عظم شأنها ...

فيا ترى هل خلق الله الإنسان لسبب من هـذه الأسباب ؟..
وليحقق هدفا من هذه الأهداف .. أم خلقه لـكلها .. أم لغيرها ؟..

إن كل الآراء إنما تشير إلى غاية واحـدة من الخلق .. هو إسعاد الإنسان .. فالله سبحانه وتعالى هو اللطيف ومشيئته هو أن يعم اللطف والسعادة كل الوجود فهذا من صفاته .. لذلك خلق الإنسان أصـلا ليسعده في الدنيا .. وفي الآخرة .. وهكذا يكون جل شأنه . إنما خلق الإنسان رحمة منه .. ورحمة به ..

من آثار الرحمة في الدنيا

لا يمكن للانسان أن يتخيل قدر رحمة الله سبحانه وتعالى به ، إذ أنه يعيش فى هذه الرحمة التى لا حدود لها ولا إمكان إلى وصفها منذ اللحظات الأولى لحياته . بل إن رحمة الله جل شأنه إنما تشمل الإنسان قبل خلقه ، فقد أثبت العلم أن إلتقاء الحيوان المنوى بالبويضة ليتم به تكوين الجنين إنما يتم على صورة بعيدة عن كل الإحتمالات الممكنة وبطريقة لا يمكن للعقل قبولها . وقصة هذا اللقاء كما تابعه العلم عن طريق التسجيل والدراسة العملية متابعة مستمرة إنما هى قصة تفوق كل خيال ولفرط غرابتها وبعدها عن كل ما هو متوقع فقد أقر العلم بأنه لا يعرف أبداً كيف يتم لقاء الحيوان المنوى بالبويضة وماذا يحدث لكل حتى يتم هذا اللقاء والذى لو ترك طبيعياً ما كان هناك أى إحتمال إطلاقا ليتم هذا اللقاء وكذلك لا يعرف ولن يعرف سر التغييرات التى تطرأ على الحيوان المنوى وعلى البويضة وعلى النطفة بعد الإلتقاء حتى تتكون البويضة المخصبة . إذ أن ذلك إنما يتم بطريقة غامضة وتحيطها أسرار غريبة وتحدث لذلك تصرفات مثيرة لا يمكن أن يعرف الإنسان عن سرها شيئاً لأن هذا هو سر الحياة .. أعجب وأغرب سر على وجه البسيطة بالنسبة للانسان على الأقل ..

فالحيوان المنوى الذى يفرزه الذكر وهو عبارة عن خلية صغيرة الحجم دقيقة الشكل لا ترى بالعين المجردة إطلاقا فجميع الحيوانات المنوية التى تكفى لخلق سكان قارة مثلا لا تزيد فى مجموعها عن حجم رأس دبوس صغير .. والخلية لها رأس مدبب وذنب لولبى يبلغ طوله عشرة أمثال الخلية . وتعيش الخلية فى سائل خاص يحفظ عليها درجة حرارتها ويمنع عنها أى تأثير من الوسط الذى تنتقل فيه ويحتوى السنتيمتر المكعب من هذا السائل على خمسمائة مليون خلية .. وهذه الخلية تتحرك بسرعة كبيرة جداً بالنسبة لحجمها إذ تبلغ سرعتها من أربع إلى ست بوصات فى الساعة فهى بذلك أسرع من الإنسان حتى عندما يتسابق فى الجرى .. وهذه الخلية بها أربعة وعشرين صبغية أو ما يسمى بالكروموسوم .. وهى العوامل الوراثية ..

والبويضة التى تفرزها الأنثى عبارة عن خلية صغيرة دقيقة ولو أنها أكبر من الحيوان المنوى ومستديرة تماما وليس لها ذنب وهى تفرز من المبيض حيث تلتقطها فتحة أنبوبة فالوب التى لهـا زوائد لتقوم بدفعها بها إلى مجرى الأنبوبة حيث تسير فيه فى رحلة طويلة وشاقة تستغرق حوالى الأربعة أيام . وهذه البويضة أو الخلية بها ثمانية وأربعين صبغية أو كروموسوم .. فهى بذلك لا تكون مستعدة للاخصاب لأن البويضة

لتكون صالحة لذلك يجب أن يكون بها أربعة وعشرون صبغية لتتحد مع الأربعة وعشرين صبغية للحيوان المنوى ليكونا معاً خلية واحدة بها ثمانية وأربعون صبغية هى الخلية الحية القابلة للانقسام والتكاثر .

لذلك نجد أنه يحدث فى البويضة بطريقة غير معروفة ولأسباب مجهولة حركة عجيبة تنقسم بها البويضة إلى قسمين أحدهما كبير والآخر صغير .. وبكل قسم أربعة وعشرون صبغية .. وبأسرار غامضة يتلاشى القسم الصغير تدريجيا إلى أن ينعدم تماما .. كيف ..؟ لا يعرف العلم عن ذلك شيئاً .. وأما القسم الكبير فإنه يعد ويهيأ ليلتقى بالحيوان المنوى ليكونا معاً خلية كاملة يبدأ منها الإنسان الحى . إذ يخترق الحيوان المنوى عنق الرحم ثم تجويفه إلى أن يلتقى بالبويضة فى البوق الموصل بين الرحم والمبيض ثم يعودا سويا بعد الإلتقاء إلى الرحم لتتعلق النطفة بجداره .

ويقرر العلم أن اتفاق الموعد الذى يتم به الإلتقاء بين الحيوان المنوى والبويضة وإمكان هذا الإلتقاء بالرغم من طول الطريق الذى يجب على كل أن يسلكه خلال مجارى الأنثى التناسلية حتى يلتقى الحيوان المنوى بالبويضة رغم المخاطر الرهيبة التى تعج بها هذه المجارى لأمر يجعل

الإنسان فى حيرة أشد الحيرة من هذا الذى يتم . فلو نزل إنسان على حدود جمهوريتنا شمالا وآخر على حدودها جنوبا وسارا على غير هدى وقد عصب كل منهما عينيه فاخترقا الصحارى على ما فيها من ضوارى ووحوش وعبر الأنهار بما فيها من صعاب وأخطار ومرت عليهما الليالى وتتابعت الأيام .. ليلتقيا وجها إلى وجه بعد شهور وأعوام فى منزل قد خصص لهما دون غيره . وفى وقت واحد بدون عجلة من احدهما أو ابطاء منه . لكان ذلك أكثر احتمالا وأقرب منالا من إلتقاء الحيوان المنوى بالبويضة ... ولو تم ذلك اللقاء بين هذين الفردين مرة ترى هل يتم مرة أخرى .. وبنفس النجاح ؟.. فكيف الحال واللقاء يتم بين الحيوان المنوى والبويضة لكل إنسان خلق ؟. فكم مرة تم اللقاء إذن ؟ .. إن عدد البشر حاليا هو ثلاثة آلاف مليون نسمة .. فكم يبلغ عددهم منذ خلق الإنسان ؟ وكم يبلغ هذا العـــدد إلى نهاية الحياة !.. إنه نفس العدد الذى يتم فيه اللقاء بين الحيوان المنوى والبويضة وكلاهما دقيق ورقيق .. فى مجاهل شاسعة وميادين واسعة وظروف غير مناسبة .. أليست هى رحمة الله .. بهذه الدقائق التى تهديها سواء السبيل وتقودها إلى خير الطريق .. ليتم تكوين الإنسان .. أو ليس الإنسان بذلك إنما يخلق أصلا برحمة الله ..

وبعد أن يتم إخصاب البويضة تحدث موجة نشاط غير عادى تنقسم

به البويضة إلى خليتين ثم إلى أربع وهكذا إلى أن تنقسم الخلايا خمسين مرة فقط .. وقد يكون من الصعب أن يصدق الإنسان أنه بإنقسام الخلية خمسين مرة يكون قد حصل الكائن البشرى على ثلاثين ألف مليون خلية هى التى تكون جسمه .

ويتعجب الإنسان الذى يرى كيف يتغذى الجنين منذ لحظاته الأولى ولا يجد الجواب الشافى لما يسأل إلا أن رحمة الله قد شملت الإنسان منذ اول لحظاته كما شملته قبل خلقه .. فبعد أن تخصب البويضة وتنقسم لتكون مضغه صغيرة من الخلايا وتحتاج إلى غذاء فى هذا المكان البعيد جداً عن أى مصدر من الغذاء نجد أنه قد تكونت بطريقة غامضة مثيرة كذلك على المحيط الخارجى لتلك الكرة الصغيرة طبقة مغذية تسمى بالغلاف الأكال أو التروفو بلاست الذى يأكل ما يصادفه من من الأنسجة ويمتص هذا الغلاف أيضا الأكسجين والماء والدم ويرسله غذاء مهضوما خلال الأوعية الدموية فى الحبل السرى لهذه المضغة .. أى أن دم الأم لا ينتقل إلى الجنين قط رغم الاعتقاد الشائع الخاطىء أن الأم تغذى جنينها بدمها عن طريق الحبل السرى .. إذ أن غذاء الجنين إنما يتم عن طريق الغلاف الأكال الذى يحيط به فهو طريق غذائه وأصل مائه .. فرحمة الله سبحانه وتعالى قد شملت الجنين وهو لم

يزل بويضة مخصبة نخلق له من العدم جهازاً خاصاً يعد له طعامه بما يلائم حاله ويحتاج إليه أمر استمرار حياته ... وينمو هـذا الغلاف ويستدير ليكون ما يشبه العش لهذه البويضة المخصبة فى جدار الرحم وهـذا أعجب ما قد يراه الإنسان فى الحياة .. ولكنها رحمـة الله بالإنسان وهو لم يزل بويضة مخصبة فى أول لحظاتها تجعله يسكن فى عش لا ليحفظ عليه حياته بل ليغذيه .. وما أعجب لو تخيل الإنسان المثل لذلك ... إذ يجد نفسه وقد سكن فى منزل جدرانه وسقوفه وأرضه تقدم له الفاكهة والخضر والخبز واللحوم واللبن والماء وكلها معدة ومهيأة فى أحسن صورها .. وأشهى ألوانها .. وأجمل صنعها . وأيسر حالات هضمها .. فهل تستطيع أن تتخيل بذلك قدر رحمة الله .. على الإنسان وهو لم يزل فى بداية خلقه ؟

وبعد ذلك نجد أن البويضة بعد إنقسامها عدة مرات تأخذ شكلا عجيبا وغريباً على المتأمل إذ يتكون منها جسم متكهف يحتوى على كهفين مستديرين الواحد فوق الآخر . وبين الكهفين صفحة رقيقة مزدوجة تسمى بالقرص المضغى .. ولا بد أن يعتقد الإنسان أن من الكهفين أو على الأقل من أحدهما يتكون الجنين ولكن الحقيقة أن الجنين لا يتكون منهما .. ولا من أحدهما .. وإنما يتكون من

الصفحة الرقيقة التى تفصل بين الكهفين .. أما الكهف الأدنى فيتكون منه حويصلة صغيرة فارغة تسمى بالكيس الصفارى وهذا الكيس ينفصل فى الشهر الثانى من المضغة ولا يعرف أين يذهب وما هو دوره وما زال العلم يجد فى البحث لعله يهتدى .. وقد لا يهتدى .. وأما الكهف الأعلى فتنشأ منه قربة تمتلىء بالماء وتحيط بالمضغة إحاطة كاملة عدا مكان إتصالها بالحبل السرى وتكون هذه القربة هى الواقية للمضغة من أية صدمات قد تصدم بها الأم أو أى رجات قد تصيب المضغة فهى التى تحفظ المضغة وعليها تفى أى إصابة خارجية قد تصيب الجنين بل تفى كذلك الهزات الكثيرة التى تنشأ عن حركة الأم إذ أن مجرد نزول المرأة الحامل من فراشها أو حتى تقلبها فيه يعرض الجنين للسقوط من الرحم يقينا لولا رحمة الله به التى تتجلى مظاهرها فى هذه القربة التى تحيطه إحاطة تامة ليسبح داخل غلافها المائى فتجعله بمعزل تام عن أى مؤثر خارجى يضره . ويقرر العلم أنه لولا هذه القربة التى تحيط بالمضغة ما تم اكتمال حمل إمرأة إطلاقا .

وبعد أسبوعين من إخصاب البويضة تمتزج بعض الخلايا لينشأ منها ما يشبه الأنبوبة فى رأس القرص المضغى وتتحور هذه الأنبوبة .. لتكون نقطة صغيرة ... وفى لحظة حاسمة محددة تسرى خلال هذه

النقطة هزة خفيفة ... ما سببها .. وكيف تنشأ . ؟ لا يعرف العلم .. ولن يعرف . . هذه الهزة تعقبها أخرى . . فورا . . إحداها تقبض والأخرى تبسط .. إنها خفقة القلب الذى بدأ كأول ما يبدأ من أجهزة الجنين ليظل يخفق طول الحياة . . ولا ينتهى عن الخفقان إلا إذا ماتقرر إنتهاء الأجل .. ويستمر الجنين فى التكوين جهازاً مع آخر .. وعضوا مع غيره ..

ويمر الإنسان بعدة مراحل أثناء حياته الجنينية يتغير فيها شكله أكثر من مرة تغيراً كثيراً وتختلف فيها أعضاؤه إختلافا كبيرا فمن بويضة إلى علقة إلى مضغة غير واضحة الشكل إلى كائن ذو طرف دماغى وآخر ذنبى وله ظهر وبطن ولكن بلاأذرع أو سيقان وبلاوجه وبدون عنق قد ألتصق قلبه بمخه . . ترى أى شكل يكون ؟ . . على كل فإنه مظهر غير بشرى بالمرة .. وفى نهاية الشهر الأول يصبح الكائن وقد ألتف بعضه على بعض ليصبح شكله دائرياً وله ذنب قصير وأزرار صغيرة على جانبه هى منابت الأذرع والسيقان وعلى ناحيتى العنق نجد شقوقاً أربعة أشبه فى عملها بخياشيم السمك ويقال إنه أقرب ما يكون من فرخ الضفدع أكثر مما يقرب من الإنسان . . وفى نهاية الشهر الثانى يتخذ الجنين سمات الإنسان ولا يفرقه عنه إلا الذنب الطويل والعينان

اللتان توجدا على جانبي الرأس والجبين البارز وفتحة الفم الكبيرة وابتعاد إحدى فتحتى الأنف عن أختها .. ثم يبدأ الجنين يتحول إلى الجمال الشكلى شيئا فشيئا ويتحدد جنسه ذكرا أو أنثى ويتغير الواحد عن الآخر إلى أن يكمل نموه فيصبح شكل الإنسان .. ولقد حاول العلم جاهداً على ممر مئات السنين أن يقف على أسباب هذا التحول .. فلم يهتد .. قيل إن هذا التغيير إنما يحكى تاريخ الجنس البشرى فى حياته الأرضية ويستند إليه أصحاب آراء التطور .. وإن هذا إنما هو سجل حى له .. ولكن هل عاش الإنسان فترة فى البحر فاستعمل لذلك خياشيم .. وهل .. أسئلة كثيرة وآراء عديدة لا تؤيد هذا الرأى ... وقيل إن ذلك إعداد لهذا الكائن لأن يتغذى على كافة الأحياء التى مر بها .. فيمكنه وهو إنسان أن يتغذى على وحيد الخلية وعلى عديدها وعلى الأسماك وعلى الحيوانات الثديية الأخرى .. ولكن أليست هى رحمة الله بالإنسان التى تجعله يمر بهذه الأطوار ثم يخرج إنسانا فى أجمل صورة وأحسن تقويم ... وأكمل إبداع ... فى الخلق ... وفى التكوين .. ولنعرف بعض قدر رحمة الله .. لننظر إلى هذه الفتاة التى حسن منظرها ويطيب للنظر رؤيتها أو إلى هذا الشاب المكتمل الرجولة الجميل التكوين .. ثم لو قدر للانسان أن يعرف على أى شكل كانت

أو كان فى الرحم لعرف قدرة الله ... وإنها لقدرة عظيمة ... تتصف بالرحمة الواسعة ..

وتنتهى مدة الحمل لتبدأ عملية الوضع ولا يمكن للانسان أن يجد أى تعليل لكل ما يتم .. إذ أنه كله فوق ما يستطيع العقل أن يدركه أو يتخيله .. إلا أنها رحمة الله بالأم وبالجنين . فهذه الأم تحمل فى داخلها جنينها وإنه لحمل كبير وثقيل .. ونحن نرى أن الإنسان أى إنسان إمرأة أو رجلا لينوء بحمله إذا ما حمل بضعة أرطال لبعض يوم . وإذا كان ما يحمله شيئا غالياً أو معدناً نفيساً فإنه يزيد من تعبه إذ حرصه عليه يضيف إلى التعب الجسدى الإنزعاج النفسى .. فكيف يا ترى نجد الأم وهى تحمل جنينها وهو أغلى ما عندها فى حياتها لمدة تسعة أشهر متواصلة .. فإذا ما وضعته أحست بالفراغ داخلها ..وأسفت للخواء فى بطنها .. وتتمنى لو تعود إلى الامتلاء مرة أخرى .. وقد يعتقد الإنسان لذلك أن الوضع إنما هو عملية هينة أو يسيرة .. وإنها حقاً لكذلك على من تلد ولكنها من الناحية العلمية والبيولوجية أمر لا يستطاع .. ولا يحتمل .. ولا يمكن أن يتم ولا يجد العلم أى تعليل لإحتمال المرأة عملية الوضع إلا أنها رحمة الله بها وبجنينها .. هذا الجنين الذى يزيد على ستة عشر بوصة طولا وعلى خمسة أرطال وزناً

يخرج وهو بهذا الحجم والوزن والطول منها ويظل وهو خارجها متعلقاً بها متصلا بالمشيمة المستقرة بجدار الرحم بالحبل السرى إلى أن ينفصلا من الجنين ولـكن يظل مكان الاتصال باقياً بل وظاهراً طوال الحياة وكأنه بصمة الزمن على شهادة اليقين برحمة الله الواسعة .

ويعترف العلم أن الدافع الأساسى الحقيقى لعملية الوضع لازال مجهولا حتى الآن ويعتقد أنه سيظل كذلك ... بل إنه وقف حائرا أمام هذه الانقباضات العضلية البطيئة المتوالية التى تسبق الولادة بعدة أشهر ما سببها ...؟ وما غايتها ...؟ ثم نجد العلم يخر ساجدا لله ... معترفا برحمته أمام تلك الحركات العضلية العنيفة التى تطرد الجنين طردا صحيحا مقصودا بحيث تقوم بتغيير وضعه إلى الوضع المناسب لخروجه ثم تدفعه دفعا متزنا يخرج به إلى الحياة ... وبعد الدراسات العملية والمشاهدات النظرية لعمليات الحمل والوضع يقرر العلم أن تـكوين الجسم الإنسانى داخل الرحم شىء غامض يفوق فهم البشر ... وأما ولادته فهو أمر خارق للعادة ... لا يستقيم مع ما نعرف ... وأنه يمكن أن توضع الولادة فى مصاف المعجزات التى قام بها الأنبياء والرسل ولو أنها تتم فى كل إمرأة...فهل تعتبر كل ولادة لإنسان وكأنها معجزة حية خالدة تدل على وجود الله ... وتشير إلى رحمته ؟... وتخرج المرأة من حملها

أسعد ما تكون ... وترجو لو تحمل مرة ثانية ... وتضع مرة تالية ...

وفجأة ينزل اللبن ... إلى ثدى الأم ... ترضع به طفلها ... كيف نزل ... وكيف تكون ... وأين كان ؟ لا يجيب العلم ولكن الدين يقول إنه رحمة من الله ... وحقا ... وصدقا ... ويتغير اللبن ... كمية ... وتركيزا حسب حاجة الرضيع ... كيف أيضا ؟ ... لا إجابة إلا أنها رحمة الله ... وتنتهى حاجة الطفل منه ... فيرفع اللبن ... ويباشر عمليات الغذاء العادية ...

ومنذ اللحظة التى يضع فيها الإنسان غذاءه فى فمه بل وقبلها تحدث فى الجسم عمليات متعددة آية فى الغرابة وغاية فى العجب ... فمجرد أن يمسك الإنسان بيده قطعة من الغذاء أو يرى بعينه مائدة الطعام أو حتى عندما يشم رائحة الأكل تبدأ غدد خاصة فى الفم فى إفراز اللعاب ... لتبدأ عملية الهضم وليعادل حالة الطعام ويوازن بين حرارة الغذاء وقدرة الجسم عليه بل وقرر الطب أخيرا أن الطعام بلا لعاب يجعل من المتعذر بلعه ... ثم يسير الطعام فى طريقه المحدد وفى كل منطقة يلتقى بإفرازات وأحماض أعدتها أجهزة يقول الطب عنها إنها أدق وأخطر وأعجب ما يمكن أن يخطر على بال إنسان ... وأن أدق أجهزة كيمائية أو

ميكانيكية أو ذرية لا يمكن أن تصل إلى مستوى أجهزة الجسم الماضية من ناحية الدقة أو التوقيت أو المواءمة بين مختلف الأجهزة بعضها وبعض ... بل إن من بين هذه الأجهزة ما يقوم بعمل وعكسه تبعا لحاجة الجسم وهذا ما يبعث العجب ويثير الدهشة... فالكبد مثلا يحول الجلوكوز وهو ما ينتج من هضم المواد النشوية والسكرية إلى نوع آخر من السكريات يسمى الجليكوجين ليخزنه فى خلاياه فعلى هذه الحالة من السكر لا يتلف أو يفقد أو يتغير بالتخزين وعندما يحتاج الجسم إلى سكريات يحول الكبد الجليكوجين مرة أخرى إلى جلوكوز ويرسله عبر أوعية وعن طريق الدورة الدموية إلى مختلف الأنسجة ... كيف عرف الكبد ؟... وكيف يقوم بذلك ؟... وما هى المادة التى يفرزها لتحول الشيء إلى آخر ثم تعيده إلى أصله مرة أخرى ؟ ... لا يعرف الإنسان إطلاقا مثلها ... إلا فيما يتردد فى قصص الجان والسحر ... إذ يمكن للجان أن يحول الخشب إلى ذهب ثم يعيد الذهب إلى الخشب ... بالسحر حسب حاجة من يستخدم الجان... وماحدث ذلك أبدا وما تم إلا فى خيال من يحكى ولا يحكيه إلا للأطفال وفقط قبل سن الادراك والمعرفة ... وليس الكبد هو الجهاز العجيب فى الجسم فقط بل ما أكثر ما يشبهه فيه ...

ولقد قرر الأطباء والعلماء أنهم لا يعرفون شيئاً عن طرق العمل فى جهاز الهضم المتكامل الأجزاء المتتابع الحلقات إلا أنه كوحدة كاملة يهدف إلى هضم الطعام بحيث يتغير ما يأكله الإنسان من مواد معقدة وصلبة إلى أخرى سهلة ذائبة قابلة للامتصاص ... فيمتصها الجسم بطريقة تعتبر أغرب وأعجب من هضم الطعام ... وأن كل ما يمكن الجزم به أن هذه إنما هى رحمة الله بالإنسان ... والحق ... إنها أثر من رحمة الله إذ ما أوسع رحمة الله التى تفوق ذلك . وتزيد عليه وتشمل بما نعرف وما لا نعرف ...

ولا يمكن للانسان أن يحيط بكل ما فى الجهاز الهضمى من بدائع وروائع . حتى ولو اكتفى بالإجزاء الرئيسية فيه ... والحديث عن هذا الجهاز يحمل الإنسان إلى الأجهزة الأخرى فى الجسم ... وما أكثرها كالجهاز الدورى والتناسلى والعضلى والعصبى وأجهزة السمع والبصر والذوق وغير ذلك وكل منها يفوق فى أعاجيبه وغرائب عمله ... جهاز الهضم ولا يقتصر المجال هنا إلى الإشارة إلى بعضها ... وقد سبق ذكر أمثلة لما تقوم به بعض هذه الأجهزة فى أبحاث سابقة .

ولا تقتصر رحمة الله بالإنسان فى ميدان غذائه على هضم طعامه بتلك السلسلة العجيبة من الأمور الغريبة التى تتم فى الجسم وإنما تتعدى ذلك إلى مجالات أوسع... وميادين أكثر...

فالإنسان الأول عاش على الأرض هو وزوجه فوجد فيها ما يكفى غذاءها ثم أنجبا ... مرة ... ومرات ... ومر بالحياة الأرضية من البشر ما لا يمكن التكهن بعددهم ... فعدد الأحياء حاليا حوالى ثلاثة آلاف مليون نسمة . إذا أضيف إليهم عدد من ماتوا منذ آدم إلى الآن فكم يبلغ عدد الذين عاشوا على الأرض منذ أن وجدت حتى الآن ؟ لكل إنسان أن يختار الرقم الذى يعتقده ... بعد أن يتكهن بعدد السنين التى عاشها الإنسان على الأرض ... وإنه لرقم رهيب يقينا ... فمثلا قد عثر العلماء أخيرا على بقايا إنسان عاش منذ مليون ونصف سنة ... فكأن الإنسان عاش على الأرض أكثر من مليون ونصف سنة فأى عدد ذلك الذى يحدد البشر الذين عاشوا على الأرض ؟ ... هؤلاء ... جميعا ... وجدوا فى الأرض ما يكفى لغذائهم ... كيف ؟ ... لا يعرف الإنسان ... وذلك على الرغم من أن الأرض لا تجدد من خارجها ما يفقد منها إطلاقا ... فظلت تزرع ... فتأخذ النباتات من أملاحها ما يكفى للنمو والإثمار ... سنة ... ثم عشرة ... فألف سنة ... ثم مليون ... وأكثر من ذلك ... وما زالت الأرض تزرع ... وأبدا ستظل كذلك ... ألم تنفد أملاحها وعناصرها ؟ ... كيف ... وهل جاءها منها بشىء من خارجها ... من القمر أو المريخ ... أو كون آخر ليعوض هذا

الفقد ... يقينا لا ... إذا كيف أن الأرض التى عاش عليها فردان ووجدا بها غذاءهما ... أصبحت تكفى لا لأضعافهما ... أو أضعاف الأضعاف ... بل للملايين الملايين من الإنسان وكأنها اليوم بإمكانياتها وإنتاجها خلقت حديثا ... أو أن من عليها الآن ... هم أول من يأخذ منها الغذاء والإنتاج فهى تعطيهم أول خيرها ... وباكورة إنتاجها أليس ذلك بالأمر العجيب ؟ .. وأليس ذلك يخالف كل ما يمكن أن يعرفه الإنسان من قوانين ويشاهده من تجارب ... ولكنها رحمة الله أو إن شئت الدقة إنها آثار رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان ... إذ ما أوسع رحمته ... وما أكثر الميادين التى يمكن للانسان أن يلمس آثار تلك الرحمة فيها ... وإن كانت تختص بغذاء الإنسان فقط ...

فالإنسان يجب أن يتناول الغذاء لأكثر من سبب ... فهو فى حاجة إلى النمو أو إلى بناء وتجديد خلايا جسمه وهـــذا لا يتأتى إلا بالغذاء ... كما أن من أهم أغراض الغـذاء الحصول على طاقة نتيجة إحتراق الغذاء فى الجسم ... وشأن الإنسان فى ذلك شأن السيارة التى لا بد لسيرها من أن تزود بالبنزين الذى بإحتراقه تتولد عنه طاقة تحرك آلاتها ثم تنتقل الحركة إلى عجلاتها فتسير . فالغذاء بإحتراقه فى جسم الإنسان يولد طاقة حرارية عن طريقها يتحرك ويفكر ويعمل ... بل

إن أقل حركة يأتيها الإنسان والتى لا يكاد يحسها تحتاج إلى طاقة حرارية تزيد على طاقة إحتراق البنزين ليدفع بسيارة كبرى تدخل فى منافسة لسباق السيارات ... كما أن الطعام يحفظ كفاية أجهزة الإنسان فهناك غدد فى الجسم لا بد لها أن تشتغل عن طريق إفرازتها ولا تستمد محتويات إفرازاتها إلا من الطعام ... وكذلك فإنه يساعد الجسم على القيام بوظائفه عن طريق حفظ صحته ووقايته من بعض الامراض والعدوى ويتم دلك بواسطة ما يحتويه الغذاء من فيتامينات . كما أن بالطعام الذى يأكله الإنسان نسبة من المواد التى لا يستفيد منهـا الجسم فى الغذاء بل تعتبر فى نظر الشخص العادى موادا ضارة كالألياف الخشنة ولكنها تلزم الجسم للمساعدة فى تخلصه من فضلاته ... هـذا علاوة على أن الطعام عامل أساسى فى تنظيم حرارة الجسم وتسيير حركة أجزاء الجسم بعضه مع البعض الآخر .

والمواد الغذائية التى يتناولها الإنسان هى المواد الكربوئيدراتية أى التى تتكون من كربون وماء وهذه إما سكرية أو نشوية ... والمواد الدهنية وهذين النوعين يعدان الإنسان بالطاقة ... وهناك المواد البروتينية اللازمة لبناء الجسم ثم الاملاح المعدنية والفيتامينات . وكان من الممكن جدا بل من السهل أن يحصل الإنسان على حاجته إن كانت كلها من النبات

من صنف واحد ... أو منبع واحد ... أو من نوع واحد من الحيوان لو كان أصله سيكون حيوانيا ... ولكن هل يمكن للإنسان أن يحصر الأصناف والأنواع التى خلقها الله سبحانه وتعالى ليحصل منها الإنسان على حاجته من الغذاء ... هذه الحاجة الضئيلة الصغيرة ... التى يتعجب الإنسان لو عرف مقدارها ... ويندهش لو قارن بينها وبين ما يأكله فعلا ... فأى إنسان عادى يتناول فى وجبته العادية مهما قلت كميتها أضعاف أضعاف ما يحتاجه منها فعلا ... والباقى يتخلص منه الجسم فى فضلاته بعد أن يجهد فى هضمه وتحويله ...

فهذه الحبوب الكثيرة الأصناف كالقمح والشعير والاذرة والأرز والقرطم وكل صنف منها له عدة أنواع والخضر التى منها السبانخ والخبازى والرجلة والكرنب والقنبيط والخس والباميا والملوخية والفاصوليا واللوبيا والبسلة والباذنجان البلدى والرومى ... الاسود والابيض والجزر والخرشوف والبنجر والبطاطس والبطاطة والقلقاس والفجل واللفت والخيار والقثاء والكوسة والبصل والثوم والطماطم والبقدونس والجرجير ومالا سبيل إلى عده .

والفاكهة والتى منها البرتقال والنارنج واليوسفى وجريب فروت والأناناس والشليك والتوت والتفاح والكمثرى والعنب والبرقوق والكريز والعناب والبطيخ والشمام والخوخ والمانجو والتين والمشمش والقراصيا والوشنة واللوز والجوز وجوز الهند والبندق والفستق ومئات غير ذلك نعرفها ولا نعرفها .

واللحوم ومنها لحم الضأن والبقر والدجاج والرومى والحمام والأرانب والبط والأوز وطيور الصيد والأسماك التى لم يصل الإنسان بعد إلى معرفة أنواعها .

هذه أمثلة لما خلقه الله سبحانه وتعالى من مئات الأصناف والأنواع للمصادر الرئيسية لغذاء الإنسان لو تأملها لوجد أن من بين هذه الأصناف ما يتشابه بعضها من بعض إلى درجة كبيرة قبيل النضج وكذلك بعده ... كالقمح والشعير ... والبرتقال واليوسفى ... والبطاطس والبطاطة .. والسبانخ والرجلة ... ولكنها تختلف عن بعضها البعض فى طعمها ... ورائحتها اختلافا كبيراً واضحاً .

فهل هذا التنوع العجيب وهذا الحشد الغريب من الأصناف والأنواع إلا لإسعاد الإنسان ولذته إلى أكبر طاقة وأقصى حد ... وأعظم قدر

ولا تتميز هذه المصادر بالشكل دون الرائحة ... ولا بالشكل والرائحة دون الطعم ... ولكنها تمتاز بكلها ... وتختلف فيه كلها ... فالتفاح مثلا يمتاز بشكله الجذاب ولونه البراق ... وطعمه الجميل ... ورائحته اللطيفة ... والمانجو كذلك ... ولكن ما أوسع الفارق بينهما فكلاهما له رائحة جميلة ولكنها مختلفة بينهما إختلافا جوهريا ... وطعم كل منهما لذيذ ... ولكن كل طعم يغاير الآخر مغايرة تامة وكذلك العنب والتين بل البرتقال واليوسفي وهما قريبي الشكل جدا ... ومن الحمضيات ونجد أن طعم كل منهما يختلف عن الآخر وكذلك الرائحة ... وأيضا التوت والشليك ... وهكذا ...

يا ترى هل تم ذلك إلا رحمة من الله بالإنسان ... الذى أراد سبحانه وتعالى أن يشمله برحمته فيوفر له السعادة المطلقة فهيأ له من الغذاء الأصناف والأنواع الكثيرة .التى تضم عديد الألوان ومختلف الطعوم وشتى الروائح ... وكلها إنما لتساعد الإنسان على أن يقبل على غذائه بنفس تواقة ورغبة جياشة .

وهل فكر الإنسان منا مرة ... لو كانت رائحة هذه الموادالغذائية أو شكلها ... أو طعمها ... كغيرها من المواد ... التى خلقت منها ... كالتراب مثلا ... أو المواد العضوية العفنة ... أو المياه العكره ...

ولا يكون هذا غريباً . فمن هذا التراب وهذا الماء ... وهـذه المواد العضوية خرجت هذه النباتات ذات الألوان الزاهية والطعوم اللذيذة والرائحة الجميلة ... يا ترى كيف كان يأكل الإنسان ... وهل يقبل على الغذاء ... أو يلبى دعوة نفسه مهما جاع ؟...

وهل فكر الإنسان لو كان طعامه قد اقتصر على صنف واحد أو نوع معين من هذه المصادر العديدة من الغذاء هل كان يشعر باللذة التى يحس بها عندما ينتقل فى غذائه من طعم إلى آخر ومن شكل إلى غيره ومن لون إلى لون مخالف ... فهذا حلو ... وذلك أشد حلاوة ... وهذا لاذع وذلك حار وآخر بين هذا وذاك ... بل إن للحلو عدة أصناف تفوق الحصر ولكل صنف منها أنواع عدة وهكذا ... وألا نحمد الله سبحانه وتعالى على واسع رحمته بالإنسان والتى من آثارها ما أنعم به جل شأنه على عباده بهذا التنوع فى الأشكال والألوان والروائح والطعوم بحيث أصبح غذاء الإنسان متعة ما بعدها من متعة وسعادة يحس بها الإنسان فى نفسه وحتى إذا رأى غيره فى طعامه يراه يقبل عليه متأملا ... متنعما ... متلذذا ...

ومن رحمة الله بالإنسان فى ميدان غذائه أن أوجد له فى كل بيئة من الأصناف ما يناسب حاله فيها ... وييسر له سبيل الحياة بها ...

فنجد مثلا الخضروات المعينة والفواكه المحـددة تنمو فى المناطق المعتدلة ... بينما تنمو غيرها فى المناطق الحارة ... وأما المناطق الباردة فلها أصنافها المميزة لها ... القاصرة عليها ... ويقرر العلم أن ذلك التخصيص إنما يستهدف صالح الإنسان نفسه ويحقق الفائده المـكتملة له .. والمتأمل لهذه الأصناف يشهد أثرا كبيرا لرحمة الله بالإنسان فمثلا فى الصحراء حيث يقل الماء ويصبح هو المطلب الوحيد للانسان نجد أن نباته بعـكس مايعتقد الإنسان . فالظروف الجوية والبيئة الصحراويه تحتم على النباتات أن تـكون جافة نوعا أو قليلة المـاء وعلى أحسن الإحتمالات تـكون مشابهة لتلك التى تنمو فى المناطق العادية .. ولـكن رحمة الله بالإنسان تجعل هذه النباتات تخالف كل مايتوقعه أو مايجب أن تـكون عليه تبعا لظروفها إذ نجدها كلها نباتات مائية وكأنها إنما كانت على هذه الصوره لتسد حاجة الإنسان من الماء .. فمثلا التين الشوكى ثماره وأوراقه توجد بها نسبة كبيره من الماء .. ونبات الصبار البرميلى الذى سمى كذلك إذ يتميز بوجود ما يشبه البرميل على النبات فوق سطح الأرض وهذا البرميل مجعد السطح ويتكون من سلسلة من البروزات الدائرية العديدة . وهذا الجزء من النبات حقيقة هو برميل من ماء فى الصحراء يرد لهفة قاطع الصحراء أو العابر الذى نفد من زاده

الماء ... ونجد فى عجائب هذا النبات مايشير حقا إلى رحمة الله بالإنسان الذى يعيش أو يمر فى الصحراء ... فعقب نزول المطر ينتشر عـدد من جذور هذا النبات يبلغ الألف فى دائرة واسعة أكثر مما يتصور الإنسان الذى يعرف حجم هذا النبات وتمتص هذه الجذور قدراً عظيما من الماء أو الرطوبة التى تكثفها الجذور وتحولها إلى ماء وينتقل بسرعة إلى الجزء من النبات الذى يشبه البرميل وتسمح الزوائد الدائرية عنـدما تتفتح بزيادة حجم البرميل حتى يتسع لمزيد من الماء ... ولا يقتصر عمل الزوائد على التحكم فى حجم البرميل بل إنهـا تقـوم بكسر حدة الشمس إذ عن طريقها لا تسقط أشعة الشمس مباشرة وعمودية على البرميل وبذلك فان ما فى هذا البرميل من ماء لا يخشى عليه من الفقد عن طريق التبخير أو النتح كما أننا نجده رطبا وليس حارا كما يتبادر إلى الذهن ... ألا يعتبر هذا النبات حقا كبئر من ماء فى مكان يعتبر الماء أعز مطلب فيه للانسان . وأليس ذلك من رحمة الله بالإنسان ؟ .

ويوجد بالصحراء أيضا نوع آخر من الصبار عبارة عن عصى جافة يبلغ طول الواحدة منها حوالى مترين ... وهذه العصى لا يلحظها الإنسان نهاراً ... ولـكن إذا غربت الشمس ودخل الليل وأحس الإنسان فى

هذه البقاع الموحشة من الصحارى بالوحدة وانقطاع الحياة فيها نجد أنه قد تفتحت فى هذه العصى الجافة أزهار كثيرة زاهية اللون عطرة الرائحة إلى درجة تملأ الجو برائحتها ولونها ولذا يسميها البعض ملكة الليل واسم هذا النوع من الصبار هو صبار الشموع إذ يقوم بما تقوم به الشموع فى الليل البهيم .

وقد يعتقد البعض أنه لما كانت الصحارى كلها متشابهة فى ظروفها فإن نباتاتها كلها واحدة ... ولكن الحقيقة أن لكل صحراء من الصحارى نباتات مميزة بها ولذا تسمى بعض النباتات بالنباتات الدالة إذ يدل كل صنف منها على صحراء بعينها ... فلا يضل الإنسان أو تختلط عليه صحراء بغيرها ...

وإذا تركنا الصحارى وانتقلنا إلى جهات مضادة تماما ... مثل المناطق الشديدة البرد أو المتجمدة نجد اختلافا بينا ... ففى هذه المناطق نجد أن كل مابها من مواد غذائية إنما تتميز بالدسامة والتركيز وأنها تعتبر المنابع الرئيسية للحرارة والدفء وإنسان هذه المناطق لا يحتاج إلا إلى ذلك ... وقد يكون من غير المتوقع أن تنبت محصولات فى أصقاع تحتجب الشمس عنها شهورا بأكملها ولكن الواقع أن أرض هذه المناطق تعتبر أكثر أراضى العالم خصوبة وتتميز عن غيرها بخلوها

من الآفات وأمراض النباتات وهكذا تخرج النباتات بلا إصابة أو أمراض فلا يجف منها شيئا ولا يموت منها كثيرا أو قليلا لتكفى حاجة إنسان هذه المناطق ... علاوة على أن أساس الغذاء فيها هو جمل البحر والحوت وغيرها من الأسماك أو الحيوانات الخاصة بها والتى تحتوى على نسبة عالية من الدهون والزيوت التى تعتبر المصادر الأساسية للطاقة الحرارية للانسان ...

ومن الأدلة التى تؤكد أن تنوع النباتات باختلاف مناطق إنتاجها إنما هو أمر قد تم عن قصد وتدبير وأنه يهدف إلى صالح الإنسان نفسه ما نراه من إنتشار أمراض النباتات واستفحال خطورتها وذلك بعد أن قام الإنسان بنقل نباتات مناطق إلى أخرى فتأثرت النباتات بتلك التى نقلت إليها ... مما نلاحظه فى كثير من الآفات التى عمت بحيث أصبح العالم كله يعانى من أضرارها الشيء الكثير ... ولو أن الإنسان لم يتدخل فى الأمر وترك النباتات فى مناطقها التى خلقها الله فيها أصلا .. لكان الإنتاج العام أجود وأكثر . ولكفى كافة إحتياجات بنى الإنسان...

وكذلك من الأدلة القاطعة على أن هذه النباتات إنما خلقها الله الحماية لسد حاجة الإنسان الكاملة وحمايته الحماية التامة ومواجهة ظروفه المختلفة فى كل بيئة وأى بيئة ... ما يقرره علم الأغذية فى أحدث ما وصل إليه

من أبحاث من أن طعام الإنسان الحديث قد فقد طبيعته في كثير من نواحيه ... فبعد أن امتدت يد الصناعة إلى الغذاء وطحنت الحبوب بالآلات الحديثة التي أفقدتها عناصر هامة للانسان وبعد أن استعمل الإنسان الفواكه في أشكال صناعية كالمربى أو العصير أو محفوظة في علب بعد إضافة المواد الكيماوية إليها وكذلك أكل الأسماك واللحوم بعد تمليحها أو حفظها وما يضاف إلى الأغذية من مواد لتحسين طعومها أو تغيير ألوانها وكذلك العناية بطبخها تجعلها تفقد خواصها ... كل ذلك قد أثر على الإنسان تأثيرا بالغاً ومباشراً في أجهزته المختلفة وهذا هو السبب في أن أسنان الأجيال السابقة كانت أمتن من أسنان هذا الجيل وأقل تعرضاً لأمراضها وكذلك العين ... كانت عند أسلافنا أكثر حدة وأقل مرضاً ... وأمراض سوء التغذية والتهابات المعدة والامعاء وتقرحها وكافة أمراض الجهاز الهضمى والحصوات والبول السكرى والروماتزم والنقرس ... وكل ذلك وأمثاله إنما هى أمراض العصر الحديث وأساسها ... هو تدخل الإنسان في تغيير طعامه ... الذى خلقه الله سبحانه وتعالى فأصبح بهذا التدخل أقل ملائمة ... وأكثر ضرراً ..

ولا تقتصر المواد الغذائية اللازمة للانسان على تلك التى يتناولها

عن الطريق الطبيعى للغذاء ، بل إن هناك مواد غذائية تخلق خلقا داخل جسمه ولا دخل له فيهامثل الثيروكسين والأدرنالين والأنسولين وهى مواد لا غنى له عنها لتغذية الخلايا والأعضاء وتقوم بإنتاجها غدد خاصة .. وهذه المواد علاوة على أنها تقوم بتغذية الجسم فهى لازمة لنشاط الإنسان الفسيولوجى والعقلى . واحتار العلم وعجز العلماء عن تفسير هذه الظاهرة العجيبة وكان قرارهم فى قيام الغدد الداخلية فى الجسم بخلق هذه المواد الغذائية اللازمة لمختلف احتياجات الجسم والعقل أنه أمر لو لم يتحققوا من صحته لكان خرافة ... ولكن طالما أن المشاهدات القياسية والدراسات العملية والأبحاث العملية قد أثبتت هذه الظاهرة التى أسموها ظاهرة الخلق الذاتى فإنهم يعترفون بأنها أمر غريب يعادل فى غرابته تصور محرك غازى تصنع بعض أجزائه من نفسها الزيت اللازم لوقود هذا المحرك ، وأجزاء أخرى تصنع بدون تدخل خارجى مواداً أخرى تزيد من اشتعال هذا الزيت وأجزاء غير هذه وتلك تنتج غذاء الميكانيكى الذى يشرف على تحريك المحرك ... وليس الغذاء فقط بل الغذاء الذى يجعله يقظا منتبهاً ويبعث فيه النشاط والذكاء .. هل يمكن لعقل أن يصدق وجود هذا المحرك ؟. إن أمر الغدد الموجودة فى جسم الإنسان التى تفرز بعض غذائه الجسدى

والعقلى والفسيولوجى كأمر هذا المحرك ... ولكن تختلف عنه ... فى أنها حقاً ... وفعلا موجودة ... فى داخل كل جسم بشرى ... حقاً وصدقاً ما أوسع رحمة الله بالإنسان ...

ولا تقتصر رحمة الله بالإنسان فى ميدان غذائه على كل هذه الألوان والأشكال والصور من الرحمات ... ولكنها أكثر من أن تحصى حتى أبوابها ... فمثلا وقد تهيأ للانسان ما يحتاجه من الغذاء كماً ونوعا فهل فكر الإنسان منا ما السبب فى أن يقبل على الأكل ولماذا يقوم عنه ؟. إن الإجابة لا تزيد على كلمة واحدة للرد على كل سؤال ... الجوع هو السبب الذى من أجله يقبل الإنسان على الأكل ... والشبع هو الذى بسببه يقوم عنه ...

ولقد احتار العلم والعلماء فى تعريف الجوع ولماذا يحس الإنسان به؟ وما هو الشبع ولماذا يشعر الإنسان به؟ ... فالجوع هو إحساس الإنسان بحاجته إلى الطعام ... ولكن هل ذلك بخلو المعدة ..؟ أم بقلة المواد الغذائية فى الجسم ؟... قرر العلم أنه ليس خلو المعدة ولا قلة المواد الغذائية السبب فى الإحساس بالجوع ... إذ يمكن للانسان أن يعيش بلا طعام لمدة أيام بل لبضعة أسابيع ... الأمر الذى يؤكد وجود كميات

من الغذاء فى الجسم يستطيع بها مواجهة هذا الصيام الذى وصل إلى عدة أشهر عند من قاموا بمحاولات فيه ... فليس الجوع إذا هو بسبب خلو الجسم من المواد الغذائية ... ومن عجب أن التجارب العملية أثبتت أن إحساس الإنسان بالجوع لا يدوم إلا فترة قصيرة ... وكأنها لتنبه الإنسان إلى الطعام ... إذ بعدها تقل حدة الإحساس به وبعد أيام قليلة يفقد الصائم الإحساس بالجوع تماما ... وأما الشعور بالشبع فليس إمتلاء المعدة يقينا ... فمهما أسرف الإنسان فى طعامه فلا يمكن أن يملأها إذ أنها علاوة على قابليتها للتمدد فإن عملها يحتم عليها عدم الإمتلاء إذ أنها تضغط على الطعام وتدفعه وتعصره وتقلبه من جانب إلى آخر حتى يتم خلطه بالعصارات المعدية التى تفرزها خمس وثلاثون مليون غدة توجد بجدارها الداخلى ... وحتى الآن لم نجد أى تعليل صحيح للاحساس بالجوع أو الشبع والأسباب التى بها يحس الإنسان بأى منهما ولا كيفية وأسباب التدرج فى هذا الإحساس فالإنسان عند أول إحساسه بالجوع لا يكون هذا الإحساس إلا كآثار بسيطة تزداد بمضى الوقت حتى يصل الجوع إلى ذروته ثم يعود فى الانكسار بعد ذلك حتى ينعدم هذا الإحساس بمضى الوقت ... حتى إذا لم يستجب الإنسان له ...وأما الشبع فإن الإحساس به يبدأ كذلك قبل تمامه إذ يحس الإنسان به فى أوله ... ثم يزداد هذا الإحساس

حتى يصل إلى قمته ويرفض الإنسان بعد ذلك أية زيادة ... فياترى.
هل فكر الإنسان لو لم تشمله رحمة الله فخلق فيه هذا الإحساس الذى
لم يصل العلم إلى معرفة حقيقته ونشأته وتطوراته كيف كان يعيش
الإنسان ؟... بل هل كان يعيش ؟... فالطفل الذى يصرخ جوعا لينبه
أمه أو مرضعته ويرفض الرضاعة بعد أن يشبع ... أليست هى رحمة الله
به التى تجعله أول ما يحس فى الدنيا إنما يحس بالجوع والشبع .. فالطفل
قبل أن يرى أو يسمع أو يعرف أو يحس ... الطفل فى لحظاته الأولى
بعد ميلاده ... يحس الجوع فيلتقم ثدى أمه ليرضع ... ثم يشبع فإذا
به يلفظه ويبتعد عنه ... مهما كانت محاولات أمه معه للاستزاده ...
وهل كان يعيش لو ظل يرضع طالما هو متمكن من ثدى أمه ... وقد
تنام أمه وهو يرضع ... أو تسهو عنه ... وكثيراً ما يحدث ... بل
لابد أن يحدث ... فهل يظل الطفل يرضع إلى أن يموت ؟ ... أو قد
تنشغل عنه بلا رضاعة أو أن ينتقل من أمه إلى مرضعة ... أو من
مرضعة إلى أخرى ... فتتأخر عليه الرضاعة ... وقد تطول ولا تعرف
حاجته إليها طالما هو لا يحس الجوع فلا يصرخ أو يبكى ... بل الإنسان
نفسه هل كان يستطيع أن يحقق حاجات الجسم من الغذاء بلا هذا
الإحساس ؟... فقد يحدد ساعات طعامه وبذلك لا يجوع ... ولكن

هل كان يمكنه أن يحدد قدر ما يشبعه ؟ ... فقد يكون الطعام جيداً ... أو الحديث عليه طيبا ... أو قد يسهو وهو يتناوله لأمر ما ... سواء أكان هذا الأمر خيراً أم غير ذلك ... فيتناول من الطعام كمية قد تقضى عليه إما بصفة عاجلة ... أو آجلة بما يتسبب عن ذلك من أمراض... وهل كان يجد الإنسان فى طعامه لذة ؟... أو يحس بسعادة وهو يتناوله فإن لذة الإنسان وسعادته فى أن يحس بالجوع ثم يتناول ما يسد به جوعه ... وأيا كان الطعام وصنفه ونوعه ولونه ... فإنه طالما تناوله على جوع فإنه يسعد به وينعم بتناوله ... وما أسعد الإنسان وهو ينهض من طعامه ... وقد غمرته نشوة الإحساس بالشبع بعد أن أحس بألم الجوع ... وهكذا الإحساس بالجوع والشبع ... والذى لا يعرف له سبب إنما هو رحمة الله بالإنسان لحفظ حياته وسبب سعادته وسبيل متعته ...

والحديث عن آثار رحمة الله بالإنسان فى غذائه وتغذيته لا يمكن أن ينتهى مهما طالت الصحف وتتباعت الأقلام وتعاقبت الأجيال ومهما خصب الفكر أو سرح الخيال . . فمنذ اللحظة التى يدفع الإنسان فيها الطعام فى فمه . . بل قبل أن تعد هـــذه الأغذية وإلى أن يتم هضم وامتصاص ما يحتاجه الجسم منها ويدفع بفضلاتها خارجه يمر فى أجهزة

ويلتى أمورا لا يمكن للمتأمل فيها والمتدبر لها إلا أن يسجد شـكرا لله جل شأنه على رحمته بعباده . . تلك الرحمة التى تجل عن الوصف وتفوق كل تصور فالغدد اللعابية ثم الأسنان ثم اللسان الذى يحمل البلعة الغذائية إلى مؤخرة الفم حيث يتم بلعها من الفتحة التى تؤدى إلى المعدة ولا تخطئها إلى أى من الفتحات الثلاث المجاورة والتى تؤدى إحداها إلى الرئتين والاثنتان وتؤديان إلى الأنف . . ثم المرىء الذى يسحب الغذاء إلى أسفل بحركات تجعل مروره بسهولة ويسر . . ثم المعدة بإفرازاتها وغددها وحركة الطعام فيها ثم باقى القناة الهضمية بأمعائها الدقيقة ثم الغليظة والكبد والحويصلة المرارية والبنكرياس إلى أن ينتهى بالقولون ليخرج الجسم فضلاته بعد أربع وعشرين ساعة يقضيها الطعام فى المرور فى القناة الهضمية . . وكل جهاز من ذلك بل كل قطعة منه تقوم بأعاجيب وغرائب أكثر مما يستطيع الإنسان أن يتصوره .

وبالرغم من هذه الغرائب والعجائب فقد قرر العلماء أن تغذية الإنسان وهضم طعامه لا يعتبر بالأمر العجيب إذا ما قورن بما يحدث فى الإنسان فى غير ميدان الغذاء والهضم وبما وهبه الله من أجهزة أخرى كالجهاز الدورى والتناسلى والبولى والعضلى والتنفسى والهرمونات والجلد وجهاز السمع والإبصار . . إذ أن عمل كل جهاز من هذه الأجهزة إنما

يفوق السحر ويسمو على كل خيـال . ويخالف كل قاعدة . . وأى قاعدة ... ويغاير كل ما عرف الإنسان من حقائق يراها فى غيرها وذلك ابتداءاً من الخلية الفردية التى تعتبر الوحدة الأولى للانسان ... فالقاعدة الأصلية والحقيقة العلمية فى انتشار الماء بين محلولين مختلفى التركيز بينهما غشاء يسمح بنفاذ المحاليل هو مرور الماء من خـلال الغشاء من المحلول الأقل تركيزا إلى المحلول الأكثر تركيزا حتى يتعادلا . ولـكن الخلية الحية تسحب الماء فى الاتجاه المخالف لذلك لتزيد تركيز المواد الغذائية على أحد جانبى جدرانها ... وهكذا فكل ناحية يبحث فيها الإنسان نفسه إنما يرى عجبا ويسبح بحمد ربه الرحمن الرحيم دائماً وأبداً .

وقد يعتقد الإنسان وهو يقرأ هذه الـكلمات فيرى الحروف سوداء والورق أبيض ثم قد يتطلع إلى السماء فيرى زرقتها أو يرى وردة حمراء زاهية ... أو يعرف لون المقعد الذى يجلس عليه أو يرتاح إلى لون الرداء الذى يرتديه ... أن رؤيته لهذه الألوان إنما هو أمر ليس أسهل منه ... فلأن هـــذا الشيء أخضر فهو يراه كذلك ... إذ ما أيسر الرؤية ... أليست العين كعدسة تنقل الصورة ... وإن كانت تصل إلى المخ مقلوبة فهو يعدلها ... هـكذا قد يقول الإنسان ... ولـكن كيف ترى العين اللون وتراه هـكذا واضحا دقيقاً وتميز درجاته ؟... إن أول

ما يثير دهشة الإنسان أن يعرف أن هناك كائنات حية لا ترى هـذا الوجود كما نراه ... إنما تراه بلون واحد . فالكلاب مثلا لا ترى ألوانا ما ... وكل تراه إنما يكون لونه رماديا أو أسودا ولونا بينهما ... وأما النمل فإنه لا يرى اللون الأحمر إطلاقا وإنما يراه أسود أو رماديا قاتما ... وأما الحمام فلا يرى اللون الأزرق أو الأخضر إنما يراهما أسودين حالكين ... هذه الآراء إنما أصبحت حقائق علمية بعد أن أجريت تجارب واسعة على كافة الكائنات الحية ودراسة إمكانيات رؤيتها لمختلف الألوان ... وقد وضعت عدة تفاسير وآراء فى كيف يرى الإنسان الألوان ... ويحس بها . ويقف على درجات تركيزها ... وأثبت العلم أخيراً أنه لما كان الطيف الشمسى الأبيض يتكون من أطياف لألوان سبعة هى البنفسجى ثم النيلى ثم الأزرق ثم الأخضر ثم الأصفر فالبرتقالى والأحمر ... وأن هناك إشعاعات فوق البنفسجى وتحت الأحمر وهى إشعاعات لا يراها الإنسان وقد توجد كائنات تراها ... فقد عرف مثلا أن النمل يرى الإشعاع فوق البنفسجى والذى لا يراه الإنسان ... وكل مادة فى الوجود تمتص من هذه الأطياف جزءا منها وتسمح بنفاذ جزء منها ... وإن هناك اهتزازات للنور فى البيئة المتوسطه بين الرائى والمرئى وعن طريق هذه الذبذبات والجزء من الضوء الذى يرسله المرئى والآخر

الذى يمتصه ... تنقل العين هـــذا العمل المتكامل ليدرك المخ درجة اللون . . والتفاصيل لهذه العملية معقدة ... لدرجة كبيرة . ولكنها تجد قبولا عند العلماء لأنها توضح أسبابا ... وتصل إلى نتائج عن الابصار ... تعتبر فى نظرهم سليمة ... ولكن هناك ما لا يعرفه العلم بعد فى رؤية الألوان ... مثل حيوية اللون ... فالإنسان يجد فارقا كبيراً بين لونين فى تركيز واحد ... وتماثل تام إذا كان أحد اللونين على مادة حية ... كوردة ... أو ورقة شجر ... مثلا ... أو زرقة السماء ... والآخر على رسم لها ... فكل إنسان إذا أنعم النظر فى وردة ... وصورة لها بالألوان ... فوتوغرافية أو يدوية ... مهما كانت دقة اللون بينها ووحدة درجته فيها ... فإن اللون يختلف ... بما نسميه حيوية اللون ... هذا لون حى ... وهذا غير حى ... كيف؟ ... وما هو السبب ... لم نستطع أن نعلل حتى الآن ...

وعلى كل ... هل فكر الإنسان ترى كيف تكون حياته لو أنه رأى الوجود كله بلون واحد ... الأبيض مثلا ... هل نتأمل قليلا ... ونتدبر ... كيف يكون الحال عندما يصبح الناس جميعا بلون واحد ... الرجال والنساء وجوههم وشعورهم وعيونهم ... وأرديتهم ... بلا زخارف أو ألوان ... وكيف يرى الرجال النساء ؟ ... وكيف تتزين أو تلبس

النساء؟... بل كيف نفرق بين الليل والنهار ؟... ومايفرق بينهما إلا رؤية اللون ... ثم كيف يمر الإنسان فى مختلف بقاع الأرض ... فلا يعرف الحدائق من الصحارى ... ولا الأوراق من الأزهار ... ولا الثمر من الأشواك ... ثم ألا يفقد الإنسان لذة كبرى فى طعامه ... بفقـــده الإحساس باللون فيما يأكله ... بل يفقد متعـة عظيمة من حياته ... ألا وهى متعة اختلاف اللون ... وتنا كله وتناسقه فى كل ما يراه ...

وقد يعتقد البعض أن رحمة الله بالإنسان إنما هى فيما يحس الإنسان به من سعادة شاملة أو متعة كاملة سواء كانت فيما يتم خارج جسم الإنسان أو داخله ... ولـكن الأبحاث العلمية والدراسات الطبية أثبتت أن رحمة الله جل شأنه تتجلى كذلك فيما قد يحس به الإنسان من ألم ... فالألم الذى يحسه الإنسان من أى مصدر كان ... إنما هو رحمة من الله سبحانه بالإنسان ... إذ عن طريقه يتم فى الجسم أمور عجيبة تتكاتف كلها لحماية الإنسان وحفظ حياته ودفع الأذى عنه ... فمن أول نتائج الألم السريعة ، الابتعاد عن مصدر الأذى بطريقة عاجلة وغامضة لم يمكن تفسيرها أو تعليلها ... فعندما يشعر الإنسان بوخز دبوس أو لسعة نار فى أصبعه مثلا.. نجده قد أبعد يده عن مصدر الأذى بحركة سريعة تزيد كثيراً عن سرعة حركة تنتج عن تفـكير فيها يصل الأثر إلى المخ ثم من

المخ إلى الجهاز العصبي ثم تتحرك اليد ... الأمر الذى أكد أن سرعة إبتعاد اليد عن مصدر الألم إنما كانت حركة بدون إجراءات تفكيرية فكيف تمت إذاً ؟... يقول الطب فى آخر أبحاثه أنه يجهل ما يحدث فى الأعصاب فى حالة الألم ... وكل ما يعرفه هو أن تغيرا فى الطاقة الكهربائية ينتقل على طول العصب وأن هناك موجات سلبية فى ألياف منفصلة هى التى تترجم عند وصولها إلى المخ إلى إحساس بالألم ... وأما الأمر بإبعاد العضو عن مصدر الأذى فإن هذا عمل المخ ... الذى يقول عنه الطب أيضاً أنه يعجز عن الاحاطة بمجاله عجز الإنسان عن الإحاطة بعالم النجوم ... وكل ما يعرفه أنه يوجد بالجسم مراكز عصبية تزيد على أثني عشر مليار من الخلايا تتحد فيما بينها بألياف وتنبثق من كل منها تفرعات ... وتتجمع بعضها مع بعض بهذه الألياف عدة تريليونات من المرات ... وهذا الجمع الهائل الذى يعتبر من أكبر ما فى الوجود من الناحية العددية ... وتعقيده فوق كل تصور أو تخيل... يسيطر على جسم الإنسان كله سيطرة تامة ... وهذا الجهاز العجيب يبدأ من المخ ويشمل المخيخ والنخاع الشوكى وشبكة هائلة من الأعصاب الفرعية التى تتغلغل بين خلايا الجلد وحول أغلفة الغدد وفى قنواتها وداخل مسالك الشرايين والأوردة والأغلفة القابضة فى المعدة والأمعاء وعلى سطح الألياف العضلية وفى كل مكان توجد خلية أو

إفراز الخلية ... وخلاياه أسمى وأرق عناصر الجسم ... وكل هـــذه الأجزاء تعمل جميعها كما لو كانت شيئا واحدا وبسرعة مذهلة إذ تعتبر سرعة العمل فى هذه الأعصاب أكبر سرعة تعرف فى الوجود ... هذا هوالجهاز الذى يبعديدك عن مصدر الأذى قبل أن تفكر ... وهوالذى يدفعك إلى أن تأخذ حذرك مما أنت فيه قبل أن تلحظه ... وهذا الجهاز هو الذى ينبه باقى أجهزة الجسم إلى وجود عدو تسلل إلى داخله دون أن يدركه الإنسان ... وبعد دراسة جادة وسريعة لهذا العدو ومركزه ودرجة خطورته يتصرف هذا الجهاز بما يلائم الأوضاع التى أصبح عليها الجسم بالنسبة للعدو...فقد يرى أن ترتفع حرارة الجسم إلى مستوى أعلى ليدفع قوى الجسم الاحتياطية لحرب العدو ... فيأمر برفع حرارة الجسم بسرعة. وفى هذه اللحظة يشعر الإنسان بقشعريرة تصاحب إرتفاع الحرارة أو تعقبها ... وما هذه الرعشة إلا محاولة لزيادة إنتاج الحرارة فى العضلات أثناء تقلصها وانقباضها المتكررين استجابة لأمر المخ الذى لا يترك الأمر على ذلك...إذ أن ارتفاع الحرارة قد يضر الإنسان فهو فى كل لحظة بل وفى أقل منها يدرس الموقف فى الجسم دراسة شاملة ومستفيضة ... ويتخذ إجراءات عجيبة ... فهو إن كان قد أمر برفع الحرارة ... فإنه يرسل إشارات إلى الجلد ليكثر من إفراز العرق الذى

يؤدى إلى راحة الجسم عامة وخفض الحرارة ... وهذا أمر يحسه الإنسان ولا يدرى له سبباً ... وكذلك يأمر المخ بأن تتمدد أوعية الجلد فتشاهد حمرة الخدين على المريض وما ذلك إلا لخفض جزء من الحرارة حتى لا تتوالى فى الإرتفاع بما قد يضر الإنسان ... ثم يأمر الجهاز التنفسى ليزيد من سرعة وعمق التنفس كوسيلة من وسائل الدفاع فى الجسم ... وينظر المخ النتيجة ... ويدرس الموقف دراسة شاملة ... فإما يرفع الحرارة مرة أخرى إذا كان العدو ما زال مسيطراً على الجسم أو يعيد الحرارة إلى حالتها الطبيعية إن كان العدو قد انهزم وانتهى أمره ... ويحتار العلم فى أمر المخ وجهازه وهو هذه الشبكة الرهيبة من الاعصاب .

ولا يجد العلم ما يقوله عنها إلا أن كل خلية منها تتصرف كأنها ترى ما يتم وتحس بما يجرى وتعلم ما يقع وتدرك ما تفعل وتعمل ما يجب بل وتتنبأ بما يحدث ... ولا يملك الإنسان إلا أن يقول إنها رحمة الله بالإنسان الذى تشمله وتحيطه وإن كان قد تردد منذ زمن حكمة تقول إن رحمة الله فيما لا تهوى الأنفس كدعوة للانسان أن يصبر على ما قد يؤلمه ... فإن الدراسات والأبحاث قد أثبتت أنها أكثر من حكمة ... إذ أنها حقيقة علمية مؤكدة .

ويندهش الإنسان عندما يتأمل حاله مع الحوادث التى تقع له

والصور التي تمر به ، فالحياة إنما هي صور متلاحقة يبدأ أولها عند ميلاده وينتهي آخرها بموته ، وفي كل لحظة من لحظات عمره يعيش في صورة بعينها وتظل تتتابع الصور وتمر الأحداث ، وهذه الصور تختلف عن تلك التي تعارف عليها البشر في أنها صور حية ، ناطقة بالكلام ، مليئة بالحركة ، وأن مستعرضها هو صاحبها وبطلها ... ترى أين تذهب هذه الصور والأحداث التي عشنا فيها ؟ ... قد تظل في مخيلتنا ولو لفترة ولكن لا بد أن يسدل النسيان عليها ستار يزداد في كل لحظة تكثفا ليحجب عن الإنسان رؤيتها فلا يلبث أن ينساها حلوة كانت هذه الصورة أو مؤلمة ... فهل النسيان معناه إزالة هذه الصورة وآثارها من الذاكرة أينما كانت الذاكرة ... في المخ أو العقل الباطن أو النفس ؟ ... إن التجربة تؤكد عكس ذلك ... إذ كثيراً ما يعود الإنسان فيذكر صورة بعينها وحادثة بأكملها ومهما تقدم الزمن عليها فإنه يذكرها تماما ... فلا بد إذاً أن كل ما يمر بالإنسان في حياته إنما هو موجود في مكان ما فيه ، وأن شيئاً ما يحدث ليحجب هذه الصور عن الذاكرة الحاضرة ... حتى يمكن للانسان أن يعيش وأن يحيا وأن يسعد بعيداً عن كل مؤثرات هذه الصور والأحداث التي قد تسبب له ألما أو تثير فيه شجنا ... ولهذا السبب ينسى

الإنسان إساءة الصديق فيعود إلى صداقته ... وينسى المحزون أسباب حزنه ... وتنسى الأم الثكلى فجيعتها فى ولدها طال الوقت أو قصر ... فتستأنف الحياة مرة أخرى ... فلا بد أن ينسى كل إنسان ... هذا النسيان وهو تحرك الصور والأحداث من مكان الذكر إلى مكان آخر الله أعلم به حيث تختزن بعيدا عن مجال الفكر ... إنه نعمة للبشر وإلا لو ظلت الصور والأحداث فى مكان الذكر كيف يسلو المحزون وكيف يهدأ الملهوف وكيف يعيش المكروب ؟... ولم يحاول العلم أن يتغلغل فيبحث فى أعماق النفس البشرية أو فى خلايا المخ عن أمر النسيان والطرق التى تؤدى إليه والمكان الذى تذهب إليه الصور والأحداث لتختزن إلى لحظة يرغبها الإنسان أو يكره عليها ... فيتذكر منها صورة أو حادثة يريدها أو يجبر على تذكرها ... وقد يأتى الوقت بل لابد أن يأتى ... الذى فيه تخرج كل هذه الصور والأحداث من مكانها إلى لوحة الفكر والذكر لحكمة يعلمها الله... وفى وقت أراده الله ... فكل ما وصل إليه العلم أخيرا فى هذا الشأن هو أنه قد أثبت أن هناك حالات مرضية تصيب الإنسان إذا ما تقدم به العمر تجعله يعود ليتذكر الصور والأحداث التى مرت به فى أوائل حياته والتى قد يكون لم يذكرها فى شبابه أو رجولته إطلاقا ... وقد وضعت أعراض

هذا المرض وتطوراته وأفردت له صفحات في الطب الحديث ...
ويتعجب الأطباء من حالات هذا المرض إذ يذكر المريض بعد أن يصل
إلى سن متقدمة أحداثا وقعت وهو فى سنين حياته الأولى ... وإذا كان
الإنسان العادى لا يذكر ما وقع له ... أو منه وهو فى الثانية أو الثالثة
من عمره إطلاقا فإنه فى حالات هذا المرض يذكر ذلك وهو فى السبعين
مثلا ... كما قرر العلم أيضا أنه عن طريق هزة خفيفة أو لمسة بسيطة
فى مكان معين من المخ خرجت كل الصور التى مرت بالإنسان إلى
لوحة الفكر وكأن صاحبها يعيشها مرة أخرى ، مما يؤكد أن صورة
الحياة كلها وأحداثها التى مرت بالإنسان طوال لحظات حياته لا تنعدم
أو تتلاشى إنما هى موجودة فى داخل منطقة معينة فى مخه ولكنها بعيدة
عن مجال فكره وذكره ، أليس النسيان رحمة من الله سبحانه وتعالى
بالإنسان ؟ وهل بدونه كان يستطيع أن يحيا وكافة صور حياته وأحداثها
كلها أمام عقله وفى ذاكرته كل لحظة وحين ؟ ...

وكذلك من رحمة الله بالإنسان أن اختصه بما لم يختص به أى
كائن آخر فيما نعلمه ... اختصه بالأمل وميزه به ... والأمل طريق
السعادة وسبيلها وباعثها ... إذ لولاه لتغير شكل الحياة فى نظر الإنسان
واختلف تقديره لها ... اختلافا كاملا ... فهذا المريض أيا كانت درجة

مرضه بل وحتى عندما يصل فيه المرض إلى غايته ... نجده لا يفقد الأمل ...
ويعيش مؤملا الشفاء متوقعاً له ... وإذا كان يعرف أن مرضه مما لا يبرأ
منه الإنسان ... فإنه لا يفقد الأمل فى الله ... ويمنحه الأمل ثقة كبيرة ...
ويزوده بصور لشفاء مماثل لحالته بل لأشد منها ... وإن لم تسعفه
ذاكرته بما سبق أن رأى ... أو سمع ... وجد فى قصص الرسل والأنبياء
الأمل والرجاء ... وإن لم يجد فى أحاديث الدنيا العزاء ... وجد فى الدين
الرجاء كل الرجاء ... ويقرر العلم أنه إذا كان الدواء هو أحـــد طرق
العلاج فإن الأمل الذى يعيش به المريض هو أهم أسباب الشفاء ، وأن
حالة المريض المعنوية يتوقف عليها تطورات المرض وسير العلاج ،
وهناك حالات من الشفاء المعجز ... عجز الطب عن بيان أسبابها
واحتار الأطباء فى تعليلها ولـكنهم اعترفوا صراحة بأن ما تم فيها إنما
كان عن طريق النشاط الروحى الذى تغلب على ما كان يعانى منه الجسد
ولا يبعث هذا النشاط إلا الأمل ... الذى به تنفتح أمام الإنسان
الرحاب الواسعة التى يخرج الإنسان إليها من الضيق الذى يقوده إليه
المرض ... ولقد أصبحت النصيحة الأولى التى يوصى بها الطب كافة
المرضى هو احتفاظهم بالأمل ... وأول محاولة يبذلها الأطباء فى العلاج
هو محاولة بعث الأمل فى المريض ولذلك يدخل الطبيب على مريضه هادئاً

مبتسما مشجعاً ... يحاول قدر طاقته تخفيف حدة ما يلقاه المريض ...
ومهما وجد من سوء حالة مريضه واقتناعه باستحالة شفائه فإنه يصف
العلاج الذى يراه وما تقرير العلاج فى مثل هذه الحالات إلا بعثاً للأمل
فى نفس المريض ... وما وجدنا طبيباً إطلاقا أفصح لمريضه بأنه لاشفاء
من مرضه مهما كانت خطورة المرض ... فإن الطبيب يعرف قدر تأثير
الأمل على نفس المريض وحالته ومن ثم على مرضه ...

والتاجر إن خسر مرة ... فإنه الأمل الذى يدفعه إلى معاودة
العمل ... والسعى ... حتى يربح ... ومهما توالت خسارته فإن الأمل
يخلق فيه روح المثابرة ويشجعه على المضى فى تجارته ... والزارع فى
حقله ... الذى يلقى بالحب فى الأرض أملا فى ظروف مواتية لينبت ...
فلا بد أن الحب سليم وقوة إنباته متوافرة ... والأرض لابد أن
رطوبتها مناسبة والجو سيلائم الإنبات وستتوفر المياه اللازمة ... وإن
حدث وأصيب النبات ... عاود الزارع ... ما فعل ... وما يدفعه إلى
ذلك إلا الأمل ... والأمل فقط ... وإن قل محصوله مرة ... واعده
الأمل ... إلى قابل ... وإن خسر عاما ... تأكد من الربح أعواماً ...
فهكذا يفعل به الأمل ...

والطالب فى دراسته ... والعامل فى مصنعه ... والزوجة فى بيتها

والطفل فى أول مرحلته ... كل هؤلاء إنما يعيشون بالأمل ... ولا حياة لهم بلا أمل ... وإلا فإنها تكون حياه لا رجاء فيها ... ولا خير لأيامها ... ولا سعادة فى لياليها ...

إن الأمل ... هو رحمة من الله ... أنعم بها على الإنسان ليسعد فى حياته ... ويسعى ... فى أيامه ... وينعم فى لياليه ... ويظل يعيش فى كنف الأمل ... وتحت ظلاله ... إلى أن تتبدل حاله ... من الحياة الدنيا ... إلى الحياة الأخرى ... حيث ينعم بصور جديده من رحمة الرحمن الرحيم ...

ومن أهم صور رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان أنه جل شأنه قد أخفى عن الانسان ما لو عرفه لكانت الحياة في نظر الإنسان غير ما هى ولاختلف إحساس الإنسان نحوها ... فكل إنسان يؤمن إيمانا لا شبهة فيه ولا ظل للانحراف عنه بأنه سيموت إن عاجلا وإن آجلا ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى بأن يخفى عن الانسان موعد موته إنما تهدف إلى سعادة الإنسان فى حياته ... فلو عرف الإنسان يوم موته أيا كان هذا اليوم بعيدا ... وبعيدا جدا فإن معنوياته النفسية تتغير تغيراً قد يمنعه من ممارسة الحياة ... أو على الأقل يعيش الإنسان فيها عيشة المتوقع للمكروه المترقب للمصاب ... ويضلم وقته ...

فيأخذ منه هذا الانتظار والترقب كل مأخذ بحيث يجعل حياته جحيما ... وعيشه ألما ... ولو علم الإنسان سلفا ما سوف يقع له من حوادث بعينها هل كان يسعى فى حياته ... أو ينتقل من مكانه ؟... وهل كان يباشر كافة الشئون التى يباشرها وهو لا يعلم ما سوف تأتى به الأيام من أحداث ؟ ... ولو علم الإنسان المكان الذى سيموت فيه أو البقعة التى سيقع له فيها أى حادث ... هل كان يذهب إليها ... بل هل كان يرد ذكرها على مخيلته ... وكيف يكون أمره لو أن فى هذا المكان ... رزقه المحدد .. هل يعيش بلا رزق؟ !... أم هل يجازف فى سبيله ... فيذهب وهو يعلم أن فى ذهابه موته !...وعلى أى الحالات كيف يكون إحساسه ... وتقديره ... ومشاعره ... وكيف يا ترى تكون حياته ؟ إن جهل الإنسان بمثل هذه الأمور التى قررت له حتى من قبل ولادته وتحدد له منها ما أراد الله لهو من رحمة الله به ... وصدق الله العظيم الذى يقول فى قرآنه الكريم :

« إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

ومن ضمن ما وهبه الله سبحانه وتعالى للانسان رحمة منه جل شأنه به ... الإحساس الجمالى ... وهو إحساس الإنسان بالجمال أيا كان هذا الجمال فى صورة أو إستماع إلىَ موسيقى أو على قمة ذلك كله فى الشعور الدينى ... أو الإيمان الفطرى ... إن هذا الإحساس ليس من قول الفلاسفة أو خيال الأدباء ولكنه حقيقة علمية قد أكدها الطب فى آخر دراسته وقرر وجودها وأطلق عليها الإحساس الجمالى ... فنجد مثلا فى كتاب الإنسان هذا المجهول للطبيب العالمى الدكتور الكسيس كاريل النص الذى يقول (يوجد الإحساس الجمالى عند البشر عند أكثر الكائنات البشرية بداوة كما يوجد عند أكثرها تحضراً وهو يبقى فى الإنسان حتى بعد زوال العقل . فالبلهاء والمجانين يمكنهم القيام بأعمال فنية رائعة ولذلك فهم يشعرون بالإحساس الجمالى . إن خلق أشكال أو سلسلة من الأصوات التى توقظ فى نفس من يراها أو يسمعها إنفعالا جماليا ، هو ضرورة أولية من ضرورات طبيعتنا . لقد تأمل الإنسان دائما فى سرور ... الحيوانات ، والأزهار ، والشجر ، والسماء ، والبحر والجبال . واستخدم قبل فجر الحضارة أدواته الغليظة فى صنع صور للكائنات الحية من الخشب ، والعاج ، والحجر ، واليوم أيضا يجد مسرة فى صنع أشياء من وحى ذاته ويستشعر متعة الجمال

حين يستغرق فى هذا العمل ... ويظهر النشاط الجمالى فى خلق الجمال كما يظهر فى تأمله ... إنه متجرد تماما ... ويبدو فى المتعة الفنية كأن الشعور يخرج عن ذاته ويستغرق فى كائن آخر ... الجمال لمن يعرف كيف يكتشفه نبع من الغبطة لا ينضب له معين ذلك أنه ملء العالم فهو يخرج من الأيدى التى تشكل غليظ الخزف أو تنقش عليه ، والأيدى التى تقطع الخشب وتصنع منه قطعة أثاث ، والتى تنسج الحرير ، والتى تهذب الرخام ، والتى تشذب لحم الإنسان وتصلحه . إن الجمال فى فن كبار الجراحين الدامى كما هو فى فن الرسامين والموسيقيين والكتاب والشعراء وهو فى مشرق الشمس على المحيط وفى الشتاء فوق أعالى الجبال ... وهو أعمق أثرا فى النفس عندما تتأمل رحاب عالم النجوم وعالم الذرات المترامية الأطراف وإنسجام المخ الإنسانى الذى يجل عن الوصف ونفس الرجل يبذل ذاته بعيداً عن الأبصار لخير الآخرين . فى هذه الصور جميعاً يظل الجمال الضيف المجهول فى المادة المخبية التى تبدع وجه الكون ... ولا ينمو الإحساس بالجمال على نحو تلقائى وإنما يوجد فى شعورنا كقوة كامنة)... أليست هى رحمة الله بالإنسان التى أودعت فيه هذا الإحساس بالجمال ... وجعلته وهو يقوم بعمل جميل ... أو يراه ... أو يسمعه ... يحس ... بما لم

يستطع العلم حتى الآن تفسيره ... أو تعليله أو إيجاد أسبابه ... إلا أنه قرر أنه حقيقة علمية مؤكدة وموجودة ... وكل إنسان يحس بهذا الإحساس الجمالي ... كلما رأى أو سمع أو عمل ... شيئاً جميلا ... وما أكثره ...

والإيمان بالله ... أو الشعور الديني أو الشعور الصوفي ... هذا الإحساس أصبح حقيقة علمية قال بها الطب في دراساته ... فيقول الدكتور الكسيس كاريل (إن الشعور الصوفي شعور فريد وهو واحد من أوجه نشاطنا الجوهرية ويتخذ النشاط الديني صوراً مختلفة إلا أنه تعطش ونزوع مبهم نحو سلطان يعلو فوق الصور المادية والعقلية في عالمنا إنه قريب من النشاط الجمالي ... إلا أن الجمال الذي ينشده الصوفي أغنى من جمال الفنان وأبعد منه عن التعريف والتحديد .. إنه بدون صورة على الأطلاق ولا يمكن التعبير عنه بأية لغة إذ ينزع الإنسان بفضل نشاط معين في شعوره نحو حقيقة غير منظورة تكمن في العالم المادي وتمتد وراءه ... ولكن ينبغي ألا نتساءل هل التجربة الصوفية حقيقية أو غير حقيقية ، هل هي إيحاء ذاتي أو وهم ، أو هي رحلة ترتحلها الروح فيما وراء عالمنا تتصل خلالها بحقيقة عليا . علينا أن نقنع بمفهوم عملي عليها . إنها فعالة بذاتها فهي تعطي من يمارسها ما يريد

تعطيه التجرد والسلام والقوة والحب إنها تعطيه الله !.. إنها حقيقة ...
حقيقة الوحى الفنى الحقيقة الوحيدة عند الصوفى وعندالفنان على السواء
... هى الجمال الذى يتأمله كل منهما ... فيها تنطلق روحه بعيداً ...
وراء المكان والزمان ... وتتصل بشىء يجل عن الوصف ... لقد
شارف الحياة الاتحادية ... إنه يتأمل الله ... ويعمل معه) ... هذا
رأى الطب فى الإحساس الدينى ... أو الشعور الصوفى ... أو الإيمان
الفطرى ... حقيقة علمية أمكن للطب دراساتها ووصفها ... ولكن
ما أبعد هذا الوصف عن الحقيقة ...فلا يعرفها حقيقة إلا من جربها ...
ولا بد أنه قد مر الإنسان ... كل إنسان ... بلحظات استشعر فيها
القرب ... والقرب جداً من الله ... ولا جدال أو إختلاف فى الرأى
فكل من يتعرض بالقول أو البحث فى الإحساس الدينى يقرر بلا
غموض أو لبس أن قمة السعادة التى يحس بها الإنسان فى حياته ...
هى لحظات تأملاته ... أو عباداته ... أو إحساسه الدينى ... عندما
يشرق عليه ... من ثنايا زحمة الدنيا به ... ومن خلال تكالبه عليها
... هذا الإحساس ... هو رحمة الله سبحانه وتعالى به ... فالانسان إذا
شاء الله جل شأنه أن يمنحه سبيل سعادة ... هى فوق الوصف ... ومتعة
هى غاية ما يرغب ... وأبعد مما يطلب ... وفقه برحمته إلى هذا الإحساس

وهكذا لا يستعرض الإنسان أى جزء فى نفسه أو يتأمل أى حالة من حالاته ... إلا ويرى رحمة الله الواسعة تشمله شمولا كاملا ... متصلا ... وصدق الله العظيم إذ يقول جل شأنه فى قرآنه الكريم :

« وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

ورحمة الله بالإنسان لا تقتصر على ما وهبه له فى جسمه أو عقله أو نفسه ... وإنما تتعدى ذلك إلى غير الإنسان نفسه ... فرحمة الله جل شأنه بالإنسان هى التى أرسلت الرياح ... ليتجمع السحاب ثم ينبسط فى السماء لينزل مطراً نقيا طاهراً يخرج به الزرع من الأرض فكأنه يحييها بعد موتها ... وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيفَ يَشَاءُ وَيَجعلُهُ كِسفاً فَتَرَى الوَدْقَ يَخرُجُ مِن خِلاَلِهِ فَإِذَا أَصابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَستَبْشِرُونَ . وَإِن كَانُوا مِن قَبلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِن قَبلِهِ لَمُبلِسِينَ .

فانْظرُ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحي الأَرْضَ بَعْدَ مَوتِها إنَّ ذلِكَ لمحيِ الْموتى وهُوَ عَلَى كلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ » .

وكذلك يقول القرآن الكريم :

« وَهُوَ الّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشرًا بَينَ يَدَي رَحْمتِهِ حَتى إذا أَقلَّت سَحابًا ثِقالاً سُقْنَاهُ لبَلَدٍ مَّيتٍ فَأَنزَلْنا بِهِ المَاءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِن كلِّ الثَّمراتِ كذلِكَ نُخرِجُ الموْتى لعَلَّكم تَذَكَّرُونَ » ، « وَمِنْ آياتِهِ أن يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشراتٍ وَلِيذِيقَكُم من رَّحْمَتِهِ ولتجْرِي الْفُلكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

فإرسال الرياح إنما هى رحمة من الله بالإنسان ... فمن طريقها تخرج نباتات الارض بما ينزل عليها من المطر ... وبها تجرى الفلك فى البحار ... وبها تقوم كافة شئون الحياة للانسان ... وقد يعتقد البعض أن إرسال الرياح أو مرور الهواء وهبوبه إنما أمر سهل وميسور إذ يحس

به الإنسان وهو يمر عليه عليلا . لطيفا ... ولكن من يدرس كيف يتحرك الهواء يدرك تماما بعض مظاهر رحمة الله بالإنسان ، التي حركت أعظم وأقوى ما قد يعتقده الإنسان ... فالهواء مثلا ليس خفيفا كما قد نعتقد أول الأمر ... بل إنه ثقيل وله ضغط كبير ... ويقرر العلماء أنه لو أمكن ضغط الهواء الموجود فى غرفة متوسطة ووضع فى حقيبة يد مثلا كتلك التى يضع فيها الطالب أدواته ... ما تمكن أى إنسان مهما أوتى من القوة أن يحمل هذه الحقيبة ...

والهواء يحيط بنا فى كل مكان ويرتفع فوقنا إلى مسافات بعيدة تبلغ مئات الأميال وقد قدر العلماء كميات الهواء التى تحيط بالأرض بحوالى خمسة ملايين بليون طن أو رقم خمسة مسبوقاً بخمسة عشر صفراً ... فكيف يكون ضغط هذه الكمية من الهواء ... لقد أمكن للعلماء قياس ضغط الهواء على الإنسان فوجدا أنه يضغط على رأسه بقوة ألف رطل وعلى كل أنحاء جسمه بعشرات الألوف من الأرطال ولكن وجود الهواء داخل الجسم يعادل هذا الضغط وإلا لكان هذا الهواء الذى نتلمسه ونسعد به قد ضغطنا لنصبح فى سمك هذه الورقة التى عليها هذه الحروف ... والهواء يتكون من جزيئات من غازاته وهذه الجزيئات فى حركة دائمة وتتصادم مع بعضها ونتيجة لذلك فإن

هذه الجزيئات تغير مسارها ... وقد أمكن للعلم أن يصل إلى حساب مرات هذا التغيير فعرف أن الجزيء الواحد من الهواء يغير مساره خمسة آلاف مليون مرة فى الثانية الواحدة ... وحتى تتم الحياة لا بد للهواء أن يدور فترى أى قوة لابد أن تتسلط على هذه الكميات الرهيبة من أطنان الهواء فتحملها بحركات جزيئاتها إلى مكان معين وعلو محدد لتحمل منه بخار الماء ... وتنزله مطراً على أرض صالحة للزراعة ... لقد حاول العلم أن يستكشف أسبابا ... أو يبحث لعله يجد ما يمكن أن يجعله أساساً لأسباب ... ولكنه لم يجد إلا أن يعترف أن هذه إرادة الله ... وإنها لحياة الإنسان وتوفير ضرورات حياته ... أليست هى رحمة الله بالإنسان ... فحتى يستنشق الإنسان النسيم العليل بهذا اليسر وهذه السهولة التى يتم بها التنفس وحتى يمكن لهذا النسيم فى صورة من صوره أن يجمع السحب فى السماء ويحملها ويوزعها ثم يسقطها مطرا .. لا بد أن يكون هذا النسيم أمره عجيباً وشأنه غريباً ... فهذا الضغط الكبير للهواء ... وتوزيعه المتقن بين خارج الجسم وداخله .. وهذه الكميات من الهواء ... والحركة الدائبة له ... كل ذلك إنما يستلزم هذه القوة القاهرة وهذا النظام الجبار ... وقد كان ... وإن أى تغيير فى عجائبه معناه الموت المحقق السريع للانسان ... فإذا كان الإنسان

يأكل ثلاث مرات فى اليوم وقد يستطيع الصوم عن الأكل عدة أسابيع ... ويشرب ما يقرب من خمس إلى عشر مرات يوميا ويمكنه أن يمتنع عنه لبضعة أيام ... فإنه يتنفس أى يأخذ الهواء حوالى عشرين مرة كل دقيقة ولا يمكنه أن يعيش بدونه إلا لحظات ... ولحظات محدودة فقط ... فالهواء يعتبر أساسياً لحياة الإنسان إذ ينفذ الأكسجين من الهواء إلى الدم بطرق عجيبة ... وبدون هذا الأكسجين يفقد الدم خواصه وعمله ... ويخرج الهواء المواد الضارة من الجسم فى كل مرة يخرج الإنسان فيها زفيرة ... وبدون الأكسجين الذى يصل إلى المخ مع الدم يقف المخ وهذا معناه الموت المحقق السريع. ولا يؤثر الأكسجين على المخ فقط بل إن كل أعضاء الجسم إنما تتأثر تأثيرا مباشرا به .. وإن مرة واحدة من الشهيق .. يتزود فيها الإنسان بكمية وافيـة من الأكسجين لتكسبه من القوة والنشاط ما لا يمكن لغيرها أن يكسبه هذا النشاط والقوة إطلاقا ... علاوة على ذلك فإنه يلطف من حرارة الجسم ويحافظ على الدرجة المناسبة منها للانسان ... وبدونه ... ما خرجت الأصوات من الإنسان ... وما انتقلت منه إلى غـيره ... ولهذا فإن عملية التنفس التى يتم دخول الهواء بها إلى الجسم إنمـا هى عملية لا إرادية ... تتم دون تدخل من الإنسان ... ولهذا فإنها

تستمر طوال حياته ليلا ونهارا ... وسواء كان يقظا أو نائما ... متنبها أو ساهيا ... صحيحا ... أو مريضا ...

والإنسان إذا ما تدبر حاله وتأمل ما حوله ... ودرس كل مايحيط به أو يتصل بشأنه أو يرتبط بأمره يجد آيات رحمة الله سبحانه وتعالى تفيض عليه بحيث يتأكد الإنسان أنه إنما رحمة من الله... وبرحمته ... وإلى رحمته ... وأن كل ما هو فيه إنما هو حقا وصدقا أثر من آثار رحمة الله به ... وكل ما يسعد الإنسان أو يثير فيه المتعة أو يشعره بالنعيم إنما هو رحمة من الله ... فالأصل فى وجود الإنسان أن يكون سعيدا ... منعما ... فلهذا خلقه الله جل شأنه ولهذا جعله موضع رحمته .

وأما ما قد يلاقيه الإنسان فى قليل من أحيانه وما قد يصيبه فى بعض لحظات حياته مما يثير فيه الألم أو يبعث فى نفسه الأسف فقد لا يكون فى حقيقته كذلك وإنما قد تكون رحمة من الله خفيت على الإنسان حقيقتها فظهرت كما يراها هكذا على صورتها ... فهذا الإنسان قد تعثر قدمه وهو فى طريقه وقد يكون فى هذا الطريق ساعيا إلى رزقه أو ناشدا الخير لغيره ... أو متوجها لعبادة ... فيصيبه من عثرة قدمه ما يجبره على أن يرقد طريح فراشه مدة قصرت أو طالت ...

وصورة ما حدث له لا تحتمل إلا أنه شر قد وقع به فهو يحس بأثره في ألمه ... ويعرف أن اعتكافه وقد أجبر عليه قد يعطله عن بعض مصالحه ... وقد يكون فى حقيقة الأمر هـذا الإنسان قد تعرض إلى أصابة قاتلة فى قلبه ... ومهما نصح له الأطباء بالراحة والاعتكاف فقد لا يستمع الى قولهم وحتى أن استجاب لنصحهم فإن مايعتريه من القلق على حاله يجعل الشفاء بطيئا وقد لا يجعله مؤكدا ... وأن حدث الشفاء فلن يكون تاما ... وهكذا فإن رحمة الله قد شملته فجعلته يهتم بقدمه ... فلا يقلق على قلبه ... اذ لم يعرف بما قد تعرض له قلبه ... ويعتكف المدة التى ينهض بعدها سليما معافا ... من أصابة قدمه ظاهريا ... ومن قلبه أو غيره ... حقيقة ... ويكون مثله فى ذلك مثل من يجد حجرا يكاد يصيب عينه فيحميها بيده متحملا الإصابة فى يده ... بدلا من عينه ... ولا يملك بعدها ألا أن يحمد الله إذ أن رحمته هى التى أبعدت الإصابة عن عينه لتتحملها يده ...

وغيره قد يجد أن رزق الآخرين ميسورا واسعا وأن الله قد قدر عليه رزقه ... فيأسف ويشقى وهو لا يدرى أن حتفه قد يكون من مال يزيد أو أنه سينفق على ما لا يتمنى من هذا المال الوفير فلو خير العبد وقد أصيب فى صحته مثلا بين أن يجد المال الذى ينفقه على مرضه ...

أو لا يمرض ويجاهد فى سبيل قوته لحظة بأخرى ويوما بغيره ... ما كان هناك أى مجال للتفكير فى الاختيار ... وقد يكون ما يصيبه من مال سببا فى انحرافه ... أو سوء عاقبته ... فرحمة الله فى أن يحال بينه وبين ما يشقيه أو يؤذيه ...

وأما إذا لقى الإنسان فى بعض لحظات حياته ... ما يشقيه ... أو وقعت به واقعة ... فليس ذلك هو الأصل ... وإنما هو أمر قد ناله جزاء سوء عمله ونتيجة لما كان يجب عليه أن يفعله ... وقد فعله وليس أقطع على صحة هذا القول من الآيات الشريفة والتى نصها :

« وإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ » ، « ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » ، « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ » .

وهكذا ما تدبر الإنسان شيئا إلا ورأى آثار رحمة الله سبحانه وتعالى به تتجلى فيه ... ولا يمكن أن ينتهى الحديث عن رحمة الله جل شأنه بالإنسان ... فلتكن هذه أمثلة ... وأمثلة قصيرة ... ففى كل شىء ... أى شىء نجد رحمة الله الواسعة ... فهل يستطيع الإنسان أن يلم بكل شىء ... أو يذكر كل شىء ؟ ... ولهذا فإن الملائكة حملة العرش والذين من حوله يقررون حقيقة واقعة عن رحمة الله فى نص الآية الشريفة :

« الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَحْمَةً وعِلْماً » .

فهؤلاء الملائكة ... الذين يحملون العرش ... والملائكة الذين حول العرش وهم يعلمون أكثر مما يعلم غيرهم عن رحمة الله يقررون وهم يدعون الله سبحانه وتعالى بأن يغفر للمؤمنين أن رحمة الله جل شأنه قد وسعت كل شىء قدر ماوسعه علمه...وأن هذه الرحمة بكل شىء إنما لعلمه جل شأنه بأنه لا يقوم أى شىء فى الوجود مهما كان إلا برحمته،

.. وهكذا يجب على كل إنسان أن يتأكد ويعتقد ويؤمن إيمانه بوجوده أن رحمة الله سبحانه وتعالى إنما تفيض عليه فى حياته الدنيا وأنه فى كل حركة أو سكنة وفى كل قول أو عمل ... وفى كل سانحة أو بارحة وفى كل جزء من أجزاء جسمه بل فى كل خلية من خلاياه بل فى كل هباءة مما تتكون منها الخلية إنما تحوطه رحمة الله وترعاه وتحفظه وتعينه وتشمله ... وإذا اطمأن الإنسان إلى هذه الحقيقة المؤكدة فى الحياة الدنيا ... فما أسعده بها وما أسعد أيامه فيها ... إن بعض الناس وقد استولى عليهم الشيطان فأنساهم وهم فى غمرات الدنيا رحمة ربهم بهم تجدهم يعيشون حياة قلقة مضطربة ... أيا كانت حالتهم ... إذا داهمهم المرض ... أى مرض كان ... أصابهم اليأس فلا يفيد معهم دواء ... ولا ينالهم من العلاج شفاء ... وإن شفوا ... فظاهرياً إذ لا بد أن يترك المرض آثاره التى لا تمحوها الأيام فى أجسادهم ... وأما نفوسهم فإنها مريضة أصلا قبل أن تمرض أجسادهم ... إذ أن النفس التى لا تحس برحمة الله تلازمها طوال حياتها هى نفس مريضة بما يستحيل علاجها منه ... فصاحب مثل هذه النفس ... إذ لم يصيبه مرض فى جسده فأنه يعيش قلقا خوفا من المرض ... فلا بد أن يمرض إن لم يكن بداء معروف فمن خوف المرض ... حتما يمرض ...

وفى غير المرض ... إذا أصابت صاحب هذه النفس كارثة أو وقع فى ضيق ... استبد به الألم ... وعصف به الفكر فإنه يعتمد على نفسه فى ظنه ... ويظل يبحث عن الأسباب ... ويرسم الطرق ... وفى كل هذه الحالات يؤمن بأنه فى هذه الكارثة يقف وحيدا ... وأنه فى ضيقه ... لا يعينه فيه أحد ... وحتى إذا لم تصبه الكارثة أو المصيبة فإنه فى قلق من انتظارها ... بل فى عذاب من الخوف من وقوعها ... وكثيرا ما يكون احتمال المصاب أخف من إرتقاب وقوعه ...

وأما الذين رفع الله عن قلوبهم حجب الضلالة فتأملوا وتفكروا وتدبروا وعرفوا الحقيقة ولمسوا آثار رحمة الله بهم واطمأنوا إليها ... فهؤلاء السعداء من البشر ... الذين يمارسون الحياة على صورتها الحقيقية ... يجدون كل ما هم فيه صورة من رحمة الله بهم ... لا يفزعهم ما قد تصيبهم به الحياة ... بل يطمأنون إلى رحمة الله الرحمن بهم والرحيم عليهم . وبذلك فإنهم يعيشون سعداء قدر ما يحسون به من رحمته وما أوسع رحمة الله ... ولذلك فما أوسع ما يحسون به من سعادة ... وحتى اذا ما أصابهم المرض .. اطمأنوا الى أنه رحمة من الله بهم ... ليرحمهم به ... من شر أكيد ... وليحميهم به ... من عذاب أكبر ... وإذا فشلوا فى أمر لم ييئسوا أو يحزنوا معتقدين أن رحمة الله قد تكون فيما لا تهوى الأنفس ...

وتأثير هذا الاعتقاد لا ينصرف إلى صحة الانسان فقط ولا إلى حالته النفسية بل إنه يتعدى ذلك إلى حياته العملية ويؤثر فيها تأثيراً مباشراً ... فقد أثبتت الأبحاث الطبية والدراسات النفسية أخيراً أن أخطر ما يصيب الإنسان فى حياته التشاؤم وأن الإنسان إذا ما أصيب به إنعكس شعوره هذا على نفسه فأصابها باليأس والقنوط ويعصف هذا الإحساس بكل مقومات النجاح فى الحياة ... فالإنسان المتشائم هو الذى لا يرى فى الحياة غير جانبها السيء وهو الذى لا يتوقع سوى السوء من كل من هم حوله ... ولا يجد فيما تأتى به الأيام له إلا الشر كل الشر ... وهذا الإنسان يقل نومه ... ويزداد قلقه ... ويفقد السكينة والطمأنينة فإذا به قد اعتل جسمه ... واختل عقله ... واضطرب تفكيره ... ثم هو يسيء الظن بالحياة وبمن هم فى الحياة فلا يجدون منه إلا ما ينفرهم منه ... ويبعدهم عنه ... وفى أول فشل ... يستسلم لليأس ... ويقنط ولا يحاول إعادة الكرة ... أو معاودة المحاولة ... ولذلك فإن علماء النفس وأساتذة الطب والبحاث فى علوم الاجتماع ... اتفقت وصاياهم للانسان على أن يحاول جاهدا أن يكون متفائلا ... وأن يبتعد كل البعد عن التشاؤم ... ولذلك نسمع منهم توصيات بأن يجتهد الإنسان أن ينظر إلى الجانب الطيب فى الحياة . وأن يحاول الابتعاد

عن أى فكر يحمل فى طياته أى معنى من معانى الكآبة أو التشاؤم وينصحون الإنسان بالإختلاف كثيرا إلى أماكن العبادة والحدائق ويدعونه إلى التأمل فى كل ما هو جميل وأن يعتقد أن المحبة والسلام هما الأساس فى علاقة الناس بعضهم ببعض ... وأن يتسامح مع غيره ... حتى يتسامح غيره معه ... وأن يؤمن إيماناً كاملا ... أنه فى هذه الحياة لا يقف وحيداً ... بل إن معه دائما الأصدقاء والأحباء ... وأن ما يجب أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم لبعض هو التعاون ... والتعاون التام الصادق ... وبديهى أن كل هذه الوصايا ... والتوجيهات لا يمكن أن ترقى إلى ما يقرره القرآن الكريم من حقيقة واقعة وهى أن الإنسان دائما وأبدا فى رحمة الله ... والإنسان الذى يؤمن ويحس بأنه دائما وفى كل حالة من حالاته فى رحمة الله الواسعة ... هو الإنسان المتفائل إلى أكبر قدر فى الحياة ... وهو الذى يعيش فى حياته سعيدا ... وسعيدا جدا ... فكل ما هو فيه ... إنما هو من رحمة الله به ... فما أسعده بها ... ولذلك تدعونا آيات القرآن الكريم إلى الإطمئنان إلى رحمة الله والفرح بها ... فإن خير ما يجب أن يحرص عليه الإنسان

فى حيـاته هو التيقن والإيمـان برحمـة الله ... وذلك بالنص الكريم :

« قلْ بِفَضْلِ اللهِ وبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ »

من صور الرحمة في الآخرة

يتكون الإنسان من جزئين مختلفين تمام الاختلاف ... الروح ... والجسد ... أما الروح فإنها نفخة من الله سبحانه وتعالى وهى من أمره وأما الجسد فمن تراب الأرض قد خلقه الله ومن عناصرها أوجده الله ... والإنسان طالما كان حيا بين الأحياء فى الدنيا فإنه يعيش بهما سوياً ... فإذا افترقا عاد الجسد إلى أصله ليصبح ترابا ... ورجعت الروح إلى ربها ... وفى طريق رجوعها ... الله وحده يعلم ما تلاقيه من عقاب أو ثواب ... ومن تعب ونصب ... أو من يسر وسهولة وارتياح ...

وبذلك فإن الإنسان فى حياته الدنيا ... إنما يعيش تحت تأثير عاملين متناقضين ... وقوتين متضاربتين ... الروح ... والجسد ... فالروح تدعوه إلى ما يسمو به ويرفعه إلى مصاف الملائكة ... إذ تدعوه إلى المحبة وإلى السلام وإلى العبادة والإحسان ... والجسد يدفعه إلى الأرض ويطالبه بالسعى فيها ويزين له كل الطرق التى تؤدى إلى امتلاكها كالصراع والأثره وحب النفس والتهافت على لذائذها والتمسك بالحصول على أكبر قدر منها ... ويظل الإنسان بين الدعوة السامية

الطاهرة التى تنبعث من روحه للارتفاع به إلى السماء وبين الدفعة القوية التى يدفعه جسده بها نحو الأرض ليعيش كباقى الأحياء ولو من غير بنى الإنسان إلى أن تنتهى أيام حياته ... وتنفصل الروح عن الجسد فيبطل تأثير كل منهما عليه حيث تبدأ حياة جديدة للانسان على غير وخلاف ما كان ...

وهكذا الإنسان فى حياته الدنيا بين شد من روحه إلى الإرتفاع والإتجاه إلى الخير ...وبين جذب من جسده إلى الإنخفاض إلى الأرض وما قد يفعله فى سبيل ذلك من الشر ...

وشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يخلق الملائكة وسخرها عز شأنه فيما أمر وأراد فخرج منها على إجماعهما إبليس حيث عصى ربه فلما أراد الله جل وعلا أن يأخذ إبليس بذنبه دعاه إبليس أن ينظره إلى يوم الدين ... واستجاب الله ... سبحانه ... ولا بد لوعد الله أن يتم مهما كان من أمر إبليس ... وما أشد ما كان منه ... اذ اتخذ غواية الإنسان وضلاله عملا له ... فيزين له طريق الشر ... ويدعوه اليه ... ويحبب اليه ترك الخير ... ويدفعه إلى الابتعاد عنه ... وشاءت رحمة الله بالإنسان أن تتخذ الملائكة موقفا مضادا لموقف إبليس فهى تتنزل

على الإنسان لتحميه منه وتبصره بطريق الخير وتدعوه إليه وتوضح له طريق الشر وتدفعه عنه ... بل إنها لتثير في نفسه ... العزم ... وتبعث فيه الأمل ... ويظل الإنسان بين غواية الشيطان ودعوة الملائكة طوال حياته ... قد يميل إلى جهة مرة ... وقد يميل عنها مرات ... وما ميله إليها ... أو عنها ... إلا بتأثير استجابته لما قد استمع اليه من داخله ...

فالخطأ والذنب هي من صفات البشر ولا بد للانسان أن يخطأ ولا بد للبشر أن يذنب فآدم الأب الأول للانسان والذى تتمثل فيه البشرية كلها ... خلقه وخلق زوجته له الله سبحانه وتعالى في الجنة وأحاطهما بكل ما لزم من مأكل ومشرب ولذة ونعيم ونهاهما عن أن يأكلا من شجرة معينة ... شجرة واحدة ... وأباح لهما أن يأكلا ... من مئات الشجيرات غيرها ... رحمة منه سبحانه وتعالى بهما ... وشفقة عليهما ومحبة لهما ... حتى يظلا كالملائكة ... ولكن الشيطان ... وسوس لهما ... كيف لا يأكلان من هذه الشجرة إن الله نهاكما عنها حتى لا تخلدا ... فلو أكلتما منها ... كان الخلود نصيبكما ... فأكلا ... وارتكبا خطيئة كبرى إذ عصيا الله سبحانه وتعالى فنزلا بسببها إلى الأرض ...

وليس معنى الخطأ والذنب الذى لابد للانسان أن يرتكبه فى حياته مرة أو مرات ... هو كما قد يتبادر إلى الذهن الوقوع فى المعاصى الشديدة أو إتيان الذنوب الكبيرة ... فإن مجرد نسيان الإنسان لربه لحظات فى يومه ... أو الغفلة عن ذكره لفترات من وقته تعتبر ذنباً وخطأ ... وكذلك عدم شكر نعمة الله ... التى وهبها للانسان ... وما أكثر ما وهب من النعم لتعتبر من الذنوب ... بل إن عدم الاجتهاد فى العبادة والإخلاص فى الطاعة لمن الذنوب التى يجب على الإنسان أن يعد عدته ليستغفر منها على الدوام ... ووسوسة النفس بالاعتراض على ما يتم للانسان أو الترقب بلهفة وبلا صبر لما يريد دون تسليم الإنسان أمره لله عن طواعية واختيار ... وكذلك عدم الرضا بمواقع القضاء... لمن الذنوب والخطايا التى يرتكبها الإنسان... فلاعجب ن وجدنا أنه حتى الرسل والأنبياء كانوا يستغفرون ربهم من أقل من مثل هذه الذنوب ... وقد بدأ الاعتراف بالذنب منذ أن أخطأ وأذنب آدم إذ قال هو وزوجه بما أورده القرآن الكريم بالنص فى الآيات الشريفة :

« وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ، قَالَا

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّم تَغفِرْ لَنَا وَتَرْحَمنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » .

ثم نجد الرسل والأنبياء يستغفرون ربهم ويقرون بذنوبهم ... لغضب أسرع إليهم أو تعجل فى إستجابة قومهم لما يدعون إليه أو الأسف لإنصراف الناس عما يبشرون به ... واعترفوا أن هـذه ذنوب يجب الاستغفار منها ...

ففى سيدنا نوح تقول الآيات الشريفة من القرآن الكريم أنه صلى الله عليه وسلم لم يتقبل بالرضا أن يغرق ابنه فدعا الله أن ينجيه فكان هذا ذنبا استغفر الله منه وذلك بالنص الشريف :

« وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ . قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلَن مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغفِرْ لِى وَتَرْحَمنِى أَكُن مِن الخَاسِرِينَ » .

وهذا نبي الله ورسوله سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم يدخل على الأصنام فيلقيها بيديه فتقع على الأرض ومنها ما يتحطم وينكسر فيسأله قومه وقد عرفوا أنه هو الذى كان قريبا من مكانها ... فيقول لهم إنه فعل كبيرهم هذا ... ويقصد أصبعه الأكبر إلا أنه يريد أن يفهموا أن كبيرهم من الأصنام هو الذى فعل فإذا حاجوه كيف ؟... قال لهم اسألوه . وعندئذ يتضح لهم الأمر الحق أن الصنم لا يجيب ولا يدفع الأذى ... وقد اعتقد سيدنا إبراهيم أن قوله هذا سيكون ذنبا ... فاستغفر منه وكان كثير الاستغفار ... وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَٰذَا فَسْئَلُوهُم إِن كَانُوا يَنطِقُونَ » .

ثم كان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بنص القرآن الكريم :

« رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ . رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ » .

ونبي الله داود صلى الله عليه وسلم يدخل عليه خصمان فى أمر لهما فيتذكر بشأنهما ما يجعله يستغفر ربه ويعترف بذنبه إذ تقول الآيات الشريفة :

« وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصِمِ إِذ تَسَوَّرُوا المِحرابَ . إِذ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنهم قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالحَقِّ وَلاَ تُشْطِط واهْدِنا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ . إِنَّ هٰذا أَخِي لَهُ تِسعٌ وتِسعُونَ نَعْجةً وَلِيَ نَعجَةٌ واحِدَةٌ فَقَالَ اكْفِلْنِيها وَعَزَّنِي فى الخِطَابِ . قَالَ لَقدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاء لَيَبغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وقَلِيلٌ مَاهُم وَظَن دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ » .

وسيدنا سليمان بعد أن عرف أنه قد فتن استغفر ربه بالنص الشريف :

«وَلَقَد فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ.
قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» .

وسيدنا ذا النون غضب إذ لم يستجب له قومه بالسرعة واليسر الذى كان يعتقده فحل عليه جزاء الغضب واعترف بذنبه إذ سبح الله وهو فى ظلمات الحوت الذى التقمه بنص الآيات الكريمة :

« وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِى الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنتُ
مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ
نُنجِى الْمُؤْمِنِينَ » .

وهذا سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم يذهب إلى ميعاد ربه ليتلقى كلماته جل شأنه ويترك مع قومه أخاه هارون فيعود ليجد القوم قد ضلوا واتخذوا من بعده صنما يعبدونه فألقى الألواح التى نقشت عليها كلمات الله غضبا وهم بأخيه وأخذ برأسه منفعلا يريد أن يعاقبه وكان

هذا ذنبا بادر بالاستغفار منه وفى ذلك تقول الآيات الكريمة :

«وَلَما رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَما خَلفتُمُونِى مِن بَعْدِي أَعَجِلتُم أَمرَ رَبِّكم وَأَلْقَى الأَلواحَ وَأَخذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِليهِ قَالَ ابنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ استَضعَفُونى وَكادُوا يَقتُلونَنِي فَلاَ تُشمِت بِىَ الأَعْداءَ ولاَ تجعَلنى مَعَ القَومِ الظَالِمِينَ . قالَ رَبِّ اغفِر لِى وَلأَخِى وأَدْخِلنا فِي رَحمَتكَ وأَنتَ أَرْحمُ الرَّاحِمِينَ» .

ويحدثنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر نبيه ورسوله سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام بما أنعم عليه بنص الآية الكريمة :

«إِذ قالَ اللهُ يَاعِيسَى ابنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعمتِي عَليْكَ وَعلَى والِدَتِكَ إِذ أَيدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فى الْمَهْدِ وَكَهلاً وإِذْ عَلَّمتُكَ الْكِتابَ والحِكْمَةَ والتَوراةَ والإِنجِيلَ

وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كففت بنى اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين » .

فهل تذكير سيدنا عيسى بهذه النعم إلا لذنب أتاه بالرغم من هذه النعم أراد الله سبحانه أن يوجه نظره إليه ...

وهذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه والذى شهد له جل شأنه بأنه على خلق عظيم نجده رغبة منه صلى الله عليه وسلم فى الاجتهاد فى الدعوة إلى دين الله ... يقبل على كبار القوم يجادلهم ويناقشهم ويطيل حديثه معهم لعلهم يهتدون ويعرض عن فقير أعمى جاءه وهو فى هذا الموقف يسأله عن بعض شأن الإسلام ... فنزلت آيات الله توجه نظر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها من العتب ما يوحى بوجوب الاستغفار . وكذلك يستغفر الرسول لبعض أهله بعد موتهم فتنزل الآيات الشريفة لتقرر

أن الله سبحانه وتعالى لم يستجب لهذا الاستغفار مما يوحي بأن هـذا الوقف في حاجة إلى استغفار ... ويتعجل رسول الله هداية قومه ... ويجاهد في الله حق جهاده ... ويبذل في سبيله كل ما يسعه الجهد ... ثم نرى أن الآيات الشريفة من القرآن الكريم تقرر أن الله سبحانه وتعالى قد غفر له ذنبه ما تقدم وما تأخر وذلك بنص الآية الكريمة :

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا » .

فالإنسان إذاً ... أي إنسان لا بد له من أن يخطأ في حياته الدنيا ... أيا كان قدر هذا الخطأ ... ونوعه ... ومدته ... ودرجة الإصرار عليه ... فمثلا لا يمكن للانسان مهما أوتي من القوة ومهما وجد السبيل ، أن يعبد الله بالقدر الواجب عليه ... أو أن يشكر النعم التي وهبها له ... فهو في نعمة ... ومن نعمة ... فهل يمكن للانسان أن يوفيها حقها ... وإذا كان الله سبحانه وتعالى لا ينسى أي عبد من عباده ليلا أو نهاراً ... فهو يحرسه ... ويرزقه ...

ويرعاه ... ويحفظه ... ينام العبد ... وربه لا ينام ... حتى تظل الحياة قائمة ... ويظل الرزق مكفولا ... فهل ترى يذكر الإنسان ربه ... كما يجب عليه؟ ... كم ينسى العبد ؟ ... وكم يسهو؟ ... وكل ذلك فى حاجة إلى استغفار ... فكيف بالذنوب والمعاصى التى يرتكبها الإنسان طوال يومه ... فهل يتصدق الإنسان بالقدر الذى يجب عليه ؟ ... وهل يرعى أهله الرعاية التى أرادها الله ؟ ... وهل يصل رحمه كما يجب؟ ... وهل يعطى من قوته لجاره الجائع ؟ وهل يخرج زكاة ماله كاملة ... ومن خيره ؟ ... وهل يصدق مع ربه وعلى نفسه ومع الناس ؟ ... وهل حفظ بصره من كل ذنب وخطأ ... وهل استعمل لسانه فيما خلق من أجله؟ ... وهل يؤدى فرائض ربه وكأنه يتأكد من أنه حقا وصدقا بين يدى الله؟ ... هل وقف يوما فى الصلاة واستشعر أنه فى تلاوته إنما يخاطب الله جل شأنه ؟ ... وكيف كان حاله إذاً ؟ ... ألا ما أكثر الخطايا التى يرتكبها الإنسان ... طوال يومه ... هذا إذا لم يرتكب كبيرة من سرقة أو قتل أو زنا ... أو يشرب خمراً أو يلعب ميسراً ... وكذلك إذا لم يذنب ذنبا من قلبه دون يده ... كحقده على غيره ... أو حسده صاحبه ...

أفليس من العدالة المطلقة التامة أن كل ذنب أو خطأ لا بد لمرتكبه أن يحاسب عليه وأن ينال به عقابه مخففاً أو مشددا ... رمزيا أو رادعا . . فلا بد من العقاب ... وهذا هو العدل المطلق ... ولذلك نجد أن العقاب والعذاب قد ترددت ألفاظهما فى القرآن الكريم أكثر من أربعمائة مرة فى مثل الآيات الشريفة :

« وَاتَّقُوا اللَّهَ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقاب » .

« إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ » .

« ولَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذابِ » .

« وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعذابُ » .

وأما جهنم باعتبارها مقـر العذاب فقد وردت فى سبع وسبعين آية مثل الآيات الشريفة :

« وَجِىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّم يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى » .

« وَلَوْ شِئْنا لأَتَيْنَا كلَّ نَفْسٍ هُدَاها ولـكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنى لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ » .

وتقرر آيات القرآن الـكريم أن الإنسان باعتبار أنه لا بد أن يخطأ فـكان حتما عليه أن يرد على جهنم ويختلف الناس فى ذلك ... فنهم من يرد عليها وتشمله رحمة الله فتنجيه منها ... ومنهم من يظل لفترةأو فترات ... أو زمن أو زمان أو يخلد فيها والعياذ بالله وفى ذلك تقول آيات القرآن الـكريم :

« وَإِن مِنـكُمُ إِلاَّ وَارِدُها كان عَلَى رَبِّكَ حَتماً مَقْضِياً. ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهاَ جِثِياً » .

وأما الأهوال التى يجدها الإنسان فى جهنم فهى أقسى من أن توصف وأشد من أن تذكر وأفظع مما يمكن تخيله ... فالعذاب الحسى الذى يصاب به الإنسان بحريقها الذى لا يقاس بما نعهده أو نعرفه من النار إنما هو عذاب فظيع ومستمر ... لا تخبو حدته ... أو تنكسر شوكته أو تقل درجته ... ويتجدد فى الجسم بإرادة الله الجلد ... وقد أثبت العلم أخيرا أن مراكز الإحساس فى الإنسان فى جلده إذ أن طبقة

المراكز العصبية التى تجعل الإنسان يشعر بما يقع عليه هى فى جلده ... فالله سبحانه وتعالى يأمر بأن تبدل الجلود بغيرها كلما نضجت وبصفة مستمرة ودائمة حتى يستمر ويستديم إحساس الإنسان بألم الحريق وذلك بنص الآية الشريفة :

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً » .

وإذا كان الإنسان يتعذب ويتألم فى حياته إذا ما ارتفعت حرارة جسمه درجة أو بعضها ويظل فى حيرة وشقاء يستخدم الطب ويقبل على العلاج ... فكيف به لو ارتفعت ملايين الملايين من الدرجات وهو فى مكان لا ظليل ولا يغنى عن اللهب ... لا تخفف فيه النار بل هى فى زيادة واشتعال ... بل إن النار لتفور وتزيد اشتعالا من غيظها من الإنسان إذا ما ألقى فيها بالنص الكريم :

« وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ . تَكَادُ تَمَيَّزُ

مِنَ الغَيظِ كُلَّما أُلقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خزَنَتها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ » .

وإذا كان الإنسان لا يتحمل الماء إذا مازادت عليه حرارته فكيف به وقد دخلت فيه المقامع من الحديد وتصب فى جسده السوائل التى اختلطت ببعضها لترفع من درجة حرارتها إلى غير ما عهد الإنسان وإلى أعلى ما يظن أو يقدر وتنزل هذه السوائل على هذه الدرجة فى الإنسان لتصهر ما فى بطنه وما بداخله وخارجه ... ويستمر هذا حاله ... وكلما اعتقد أنه قد انتهى عذابه أعيد مرة ومرات وذلك بالنص الكريم:

« فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُم ثِيَابٌ مِن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِم الحَمِيمُ . يُصهر بِهِ مَافِى بُطُونِهِم والجُلُودُ . وَلَهُم مقَامِعُ من حَدِيد . كُلَّما أَرَادُوا أَن يَخرُجُوا مِنها مِن غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ » .

والإنسان إذا استشعر فى حياته أن كبيرا له أو رئيساً عليه قد أهمله ... فإنه يصيبه من الألم قدر ما لا يستطيع دفع هذا الإهمال عنه

ويحاول أن يخرج أو يبتعد عن مجال ضرورة الاتصال به ··· أما إذا كان لا مفر من التعامل معه ··· والبقاء عنده ··· فإن حياته تكون بذلك عذاباً مستمراً وألما مستديما ··· فإذا كان هذا شأن الإنسان مع أخيه الإنسان ··· فى حياة إن طالت فهى قصيرة ولا بد له أن يفارق من سبب أله ··· بموت أحدهما ··· فهل تخيل الإنسان كيف يكون حاله مع رب العالمين ··· إذا لم يكلمه الله ··· أو يزكيه أو ينظر إليه··· طوال حياة الخلود التى لا تنتهى أبد الآبدين ··· وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » ، « إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ».

وبذلك تتنوع صور العذاب وتختلف ألوان العقاب ولكنها كلها

تتفق فى أنها مما لا يطاق ولا يحتمل ... ولكن أليس العدل كل العدل فى أن يجد كل إنسان ما يستحقه على ما يقدمه من عمل ؟... والإنسان مهما عاش فى الحياة وظل طوالها فى عبادة مستمرة لله... أيكفى ذلك لشكر نعمة واحدة مما أنعمه الله عليه ...؟ فكيف بنعمة الحياة نفسها وكلها ؟... ألم يخلق الله الإنسان برحمته ومن عدم أوجده؟ ولم يكن الإنسان شيئاً فأراد الله به خيرا فخلقه فكيف إذا يمكن شكر الله وحمده على أن خلقه ...

ولو كان العدل هو أساس الحساب فى الآخرة ... ما خلقت الجنة وما كان عرضها كعرض السماوات والأرض ... ولكن الرحمة التى شمل الله سبحانه وتعالى بها عباده فى الحياة الدنيا والتى تفوق التصور وتزيد على التخيل أنما هى آثار من الرحمة التى ادخرها لعباده فى الآخرة... وهى جزء لا يكاد يذكر من قدر الرحمة التى يفيض بها على عباده يوم الرحمة ...

فلقد أعد الله جل شأنه للانسان من أسباب السعادة فى الآخرة ووسائل التنعم فيها ما لا يخطر على بال الإنسان ولا تستطيع إدراكه عقول البشر ... وكما هو الحال فى الدنيا إذ يختلف البشر فى طرق إحساسهم بالسعادة واللذة فمنهم من يقبلون على الغذاء الجيد والشراب

الطيب ولا يجدون سعادة فى غير طعامهم أو شرابهم ... فغيرهم يجدون المتعة الكاملة والسعادة التامة فى الاستماع إلى لحن أصيل أو التطلع إلى منظر جميل ... وفئة أخرى تجد متعتها فى إسعاد الروح عن طريق صلاة عميقة أو تسبيح طويل ... وغيرهم يزيد عليهم فى العبادة التأمل والفكر طالما قد وهبوا مجالاته ووجدوا ميدانه ... وهكذا تتعدد طرق سعادة البشر ... والله سبحانه وتعالى قد أوجد لكل هذه الفئات من البشر على اختلافها مسببات سعادتهم فى الدنيا بما وهب لهم من عديد الأصناف والأنواع مما خلقه من الأرض من نبات وحيوان مختلف ألوانه متغاير أشكاله متعدد طعومه ومذاقه ... وخلق لهم الطيور المغردة وألهمها ألحانها ... وصور لهم الطبيعة وأوضح جمالها ... وأرسل لهم الرسل يعلمونهم ... الصلاة ... ويسمعونهم ألفاظ التسبيح ... ولذلك فإن الله جل شأنه قد أوجد لكل فئات البشر وسائل إسعادهم فى الآخرة كل بقدر ما يشتهى وبلون ما يحب ... ولكن لا بقدر ما وجد فى الدنيا ولكن بقدر ما تستحق الآخرة ... فقد أعد للفئات التى تجد سعادتها فيما تتناوله من الطعام والشراب ... مثله مع الفارق فالفاكهة التى يختارها العبد دون انتظار لوقتها أو ترقب لأوانها ... وأصناف الطعام الأخرى مما يشتهيها الإنسان ... وحتى تتم سعادته فإن هذه

الأصناف والأنواع تأخذ شبه ما وجدها عليه الإنسان فى الدنيا حتى لا يختلط عليه الأمر أو يعجز عن معرفتها وذلك بنص الاية الكريمة :

« وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهم جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهَارُ كُلَّماَ رُزِقُوا مِنها من ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالُوا هٰذَا الّذِى رُزِقنَا مِن قَبلُ وَاتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً » .

... بل إن الانسان ليجلس إلى هذا الطعام والشراب وهو فى أحسن صوره وأشهى ألوانه بطريقة تثير فى نفسه السعادة الكاملة وتوفر له المتعة المطلقة فهو ومن يحبهم على فراش وثير يجلس جلسة مريحة إلى أقصى حدود الراحة ويقابل هؤلاء الأحبة فى هذه الجلسة زيادة فى توفير المتعة بأن يقع نظره على من يريد... وحاجتهم من الشراب الطاهر يجدونه فى أكواب وأوانى جميله كأحسن ما يتخيل الإنسان ... ويمر به عليهم سقاة يرتاح الإنسان لرؤياهم ... ويختلف هذا الشراب عن غيره مما يعرف الإنسان فى أنه لا يسبب أذى أو ضرا ... ومهما طال الأكل وامتد وقت الشراب لا يسمع الإنسان فى جلسته ما يتوقع

بخياله الدنوى من لغو الكلام أو الأثيم منه ... بل لا يسمع من القول إلا أكمله ومن الكلام إلا أحسنه ... السلام ... السلام ... وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَـٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ . ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ . عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ . مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ . يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ . جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا . إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا » .

وأما هؤلاء الذين يجدون المتعة فى التطلع الى المنظر الجميل أو اللوحة الرائعة فإن فى النظر الى غرف الجنة تجرى من تحتها الأنهار لسعادة

لا يمكن للانسان وصفها فإن الله جل شأنه قد صور لنا ما يقرب منظر الجنة لعقل الإنسان فى آيات كثيرة من القرآن الكريم :

« لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهم لَهُم جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحتِها الأنهَارُ خَالِدِينَ فيها نُزُلاً مِن عِندِ اللهِ وما عِندَ اللهِ خَيْرٌ لِلأبْرَارِ » .

والذين يجدون متعتهم فى الصلاة والتسبيح والحمد سيجدون فى الجنة وسيلة لسعادتهم ولكن بطريقة اوسع وقدر أكبر ومتعة أعظم وما أسعد الإنسان لو كان من هؤلاء الذين تقول عنهم الآيات الشريفة :

« إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهم بإيمَانِهِمْ تَجْرِى مِنْ تَحتِهم الأنهَارُ فِى جَنَّاتِ النَّعيم . دَعْواهُمْ فيهاَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وتَحِيَّتُهُم فيهاَ سَلامٌ وَآخِرُ دَعْواهُم أَنِ الْحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.»

وأما هؤلاء الذين كتب الله سبحانه وتعالى لهم أن يجعلهم فى قمة

السعادة ... فهم الذين لا يبغون من الجنة غرفا أو أنهاراً ولا يطلبون فيها طعاماً أو شرابا ... ولكنهم وقد رأوا الحق سبحانه وتعالى ... فإنهم لا يريدون ... ولا يمكنهم قطعاً أن يريدوا غير النظر الى وجه ربهم ... والخلود الأبدى على هذه الحالة ... وهؤلاء الذين تقول عنهم آيات القرآن الكريم الشريفة :

« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ».

والقرآن الكريم حينما أورد فى آياته الشريفة الوسائل المختلفة لإسعاد الإنسان فى الجنة من طعام وشراب وأزواج وزوجات وغرف وأنهار فليس ذلك على سبيل المشاهدات الواقعية وإنما تلك أمثلة مما تقبله عقول البشر الحسية ... ويقع تحت معارفهم المادية ... وإنما حقيقة وسائل الإسعاد فى الجنة ... لمختلف فئات البشر أمر لا يمكن للعقل أن يحيط به ... أو يتخيله لأنه فوق مستوى العقل ... وأكبر من قدرة الإنسان على أدراكها ... ولذلك تقرر آيات القرآن الكريم أن ما جاء بخصوص الجنة أنما هو على سبل المثال حتى يمكن للانسان بعقله المحدود أن يعرف أن السعادة التى سيكون عليها فى الجنة هى على أقصى طاقة من التخيل يمكنه أن يستطيعها ... وإلى أكبر قدر يمكن

أن يستوعبه ... وفى ذلك تقول آياته الشريفة :

« مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ أَسِنٍ وَأَنهَارٌ مِن لَبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصفًّى ولَهُم فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمرَاتِ وَمَغفِرَةٌ مِنْ رَبِهِم » ، « مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ المُتَّقُون تَجْرِى مِنْ تَحتِهَا الأَنهَارُ أُكلُهَا دَائِمٌ وظِلُّها تِلكَ عُقبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وعُقْبَى الكَافِرِينَ النَّارُ » .

فأى ألفاظ عن قدر الجنة ... وأى وصف للنعيم فيها ... فالحقيقة أكبر وأكثر من ذلك ... بل وغير ذلك ... أنهـا الجنة ... جنة الله ... وفيها مالا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ...

وطول الجنة وعرضها وارتفاعها ومساحتها وحجمها أمر يؤكد رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان فى الآخرة ... ويترك لكل عقل الفرصة لأن يتأمل ويتخيل ويتفكر ثم يتصور قدر هذه الرحمة ...

فالإنسان يعيش على الأرض وإن كان قد تداول عليها آلاف الأجيال... ألا تكفيهم جميعاً الأرض لو اجتمعوا مرة واحدة عليها مهما كان عدد هذه الأجيال السابقة علينا واللاحقة لنا ...؟ لا سيما ونحن نعرف أن الإنسان لا يسكن إلا جزءاً ضئيلا منها إذ أن اليابس من الأرض لا يتجاوز خمسها والباقى ماء ... وهـذا الخمس من الأرض فيه من الصحارى والجبال والمناطق غير الصالحة للسكن ما يشغل مكانا كبيراً منه ... وحتى هذا الجزء الصغير من الخمس الذى يصلح لسكنى الإنسان أكثره أراضى زراعية ومستنقعات وطرق وكبارى وغـير ذلك مما لا يسكن عليه الإنسان فعلا ... فكأن الإنسان لا يشغل إلا خيزاً لا يكاد يذكر منها ... فالأرض على ذلك إنما تتسع من أجيال الإنسان عدداً كبيراً إن لم تتسع لهم جميعاً ... فإذا كانت سعة الجنة كسعة الأرض ... ألا يطمع كل مذنب من بنى الإنسان فى رحمة الله ؟... باعتبار أنها قد تتسع لأجيال الإنسان أو على الأقل لأغلبهم ... فكيف وعرض الجنة فقط عرض السماوات والأرض وذلك بنص الآيات الشريفة :

« وسَارِعُوا إلى مَغفِرَةٍ من رَّبكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ والأرْضُ أُعِـدَّت لِلمُتَّقِينَ » ، « سَابِقُوا إلى مغفِرَةٍ من

ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله » .

ونحن نعرف أيضاً أن الأرض لا تعتبر شيئاً يذكر بالنسبة للسماوات ... وإذا كان هذا هو العرض... فكم يكون الطول؟ ... إذا كان الطول سيختلف عن العرض كما هو متوقع من سياق الآيات الشريفة إذ أن ذكر العرض إنما يعني وجود طول مغاير له ... ولا بد أن يكون الطول أكبر من العرض ؟... وكم يبلغ إرتفاعها ؟... وترى كم تكون مساحتها !... وكيف يكون حجمها !... والأهم ... كم تكون سعتها ...!

وهذه الجنة أعدت لبني الإنسان فقط ... وليس لغيره من الأحياء ... ممن خلقهم الله في أكوان أخرى ... والله أعلم ... إذ أن آيات القرآن الكريم تشير إلى أن هذه الجنة إنما لمن يتبعون الرسل والانبياء الذين أرسلهم الله للبشر من بني الإنسان في الأرض وذلك بنص مثل الآيات الشريفة :

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين

خَلو من قبْلِكمُ مَسَّتهم البأساءُ والضَّرَّاءُ وزُلْزِلوا حتَّى يَقُول الرَّسُولُ والَّذينَ آمنُوا معَهُ متَى نَصْرُ اللهِ ألاَ إنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ » ، « وَقيلَ للَّذِينَ اتَّقَوْا ماذا أَنْزَلَ ربُّكُمْ قالُوا خَيراً لِلَّذِينَ أَحسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ . جَنَّاتُ عَدنٍ يدْخُلونَهَا تَجْرِي مِن تَحتِهَا الأنهَارُ لَهُمْ فِيهَا مايَشَاءُون كَذَلِكَ يَجزِي اللهُ المُتَّقِينَ » .

وإن قدر إتساع هذه الجنة بحيث أنها تصبح ولا يستطيع الإنسان إدراك طولها أو عرضها أو ارتفاعها أو سعتها ... فعرضها كالسماء والأرض ولا نهاية لعرض السماء وحدها ... فيما نقدره ... ليدل دلالة واضحة ويشير إلى رحمة الله بالإنسان فى الآخرة ... الرحمة الواسعة التى لا نهاية لها إطلاقا ... واتساع الجنة ... هذا الاتساع الكبير ... إنما يعنى أن لكل إنسان جنة ... بل لكل إنسان أكثر من جنة ... وهذا ما تؤكده آيات القرآن الكريم وتحققه هذه

هذه الأبعاد ... فالآيات الشريفة تقول :

« وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » ، « وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

فمن الناس من له جنة واحدة ومنهم من له جنتان ... ومنهم من له جنات أكثر من الاثنتين وكل جنة تشمل كل ما يفيض على صاحبها بالسعادة التامة المطلقة ... لا كما عهد ... ولا كما عرف ... ولا كما يتخيل ... بل أكثر وأوسع وأفضل ...

ومن شواهد رحمة الله بالإنسان فى الآخرة أننا نجد أنه بينما ورد لفظ الجنة المفردة فى القرآن الكريم ٦٧ مرة مثل :

« وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ » .

وورد اللفظ مثنى ٣ مرات مثل :

« مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ » .

وردت الجنة بلفظ الجمع ٦٩ مرة مثل :

« ومَن يُؤمِن باللهِ وَيعمَل صالحاً يُدْخِلهُ جنّاتٍ تجْري من تحْتهاَ الأنهارُ خالِدينَ فيها أبَداً قَدْ أحْسنَ اللهُ لَهُ رِزقاً » .

فإن جهنم لم ترد فى القرآن الكريم إلا باللفظ المفرد فليس هناك سوى جهنم واحدة وقد وردت ٧٧ مرة فى مثل الآيات الكريمة :

« هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُم تُوعَدُونَ » .

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجدها تفيض بأدلة رحمة الله جل شأنه بالإنسان فى الآخرة ... فالخلود الأبدى للانسان فى الآخرة قد ورد فى اثنى عشر آية شريفة تسع منها تخص خلود الإنسان الأبدى فى الجنة مثل :

« وَمَن يُؤمِنْ باللهِ وَيعْمَل صالِحاً يُدْخِلهُ جنَّاتٍ تجرِي مِن تحتها الأنهارُ خالِدينَ فِيها أبَدًا قد أحسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً » ، « والَّذِينَ آمنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تحتها

الانهارُ خَالِدِينَ فِيها أَبَدًا وعدَ اللهِ حَقًا ومَن أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً » .

ولم يرد الخلود الأبدي للانسان فى النار إلا فى ثلاث آيات فقط مثل :

« وَمنْ يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فإنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها أَبَدًا » .

وأما قدر رحمة الله بالإنسان فى الآخرة ... والجنة ومافيها إنما هو أحد صور هذه الرحمة فإنه مهما وصف الإنسان أو تخيل ومهما وجد من آثار رحمة الله به فى الدنيا ومهما عاش فى صورها فى حياته وسعد بمختلف ألوانها فى عيشته فإن رحمة الله به فى الآخرة أضعاف أضعاف ما يعتقد أو يظن أو أحس ... وعندما يصف الحق سبحانه وتعالى بنفسه رحمته بالإنسان فى الآخرة فلا يحتاج الأمر بعد ذلك إلى قول أو تفصيل ... إن رحمة الله تتسع لكل شىء أو أى شىء إن هذه حقيقة لا بد للانسان أن يؤمن بها إيمانا لا يداخله فيها أى شك إذ يقول الله عز وجل فى قرآنه الكريم :

« وَرَحْمَتِي وسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ » .

وعندما يقرر الله سبحانه وتعالى فى آياته الكريمة جل شأنه أنه قد كتب على نفسه الرحمة بنص مثل الآية الشريفة :

« قُل لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ » .

فإنما ليتأكد الإنسان أنه سيكون فى رحمة ربه ... الرحمة الواسعة التى تتسع لكل شىء ... وأى شىء ... وأن رحمته بالإنسان قدأصبحت أمرا مؤكدا ومقررا يقينا فقد كتبها الله بنفسه على نفسه جل شأنه ... وتقدست ذاته ... وتعالت صفاته ...

والطريق إلى إبتغاء الإنسان رحمة الله جل شأنه فى الآخرة ... والجنات وما فيها وهو أحد صور الرحمة ... ليس كما يعتقد الإنسان بالأمر الصعب أو الشىء المتعذر ... بل إنه من أيسر ما يستطيعه أى إنسان وأقرب ما يظن وأسهل مما يرجو ... وذلك أيضا من شواهد رحمة الله بالإنسان فى الآخرة الرحمة الواسعة ... فيكفى للانسان أن يستغفر ربه ... ليكون فى رحمته الواسعة فى الآخرة ... وما أيسر

الاستغفار وما أسهله ... ولو تأمل الإنسان نفسه لوجد أنه ينبعث من نفسه النداء الخفى بالاستغفار... ولو أنصت بجوارحه واستمع بإحساسه لوجد قلبه يدفعه إلى الاستغفار ... فالإنسان خطاء ولا بد ... مذنب ولا شك ... وكل إنسان أيا كان ... يحس بعد الذنب مباشرة بالأسف ... ويشعر بعد الخطأ فورا بالندم... وهذا الإحساس والشعور إنما هو السبيل الذى يدفعه إلى الإستغفار ... فمن هدى الله قلبه أطاع وجدانه واستجاب لفطرته فإنه يستغفر الله بعد الخطأ والذنب ... إذ أنه من ضمن النعم التى أنعم الله سبحانه وتعالى بها على عباده ... ليبتغوا بها رحمته الواسعة ... والتدبر للاستغفار يجد أنه عبادة لله فى صورة صادقة وخالصة ... فالمستغفر قد اعترف بذنبه وأقر بخطئه وهو يؤمن بربه ... لا شك ... إذ لجأ إليه ... ويشهد بغفرانه للذنب يقينا إذ دعاه ليغفر له... ولذلك فإن المستغفر فى رحمة الله بالنص الكريم

« وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا » .

بل إن الإستغفار أيضا سبيل ابتغاء رحمة الله فى الدنيا إذ به يهيىء الله جل شأنه للانسان كل أسباب المتعة الحسنة فى الدنيا وذلك بالنص الكريم :

« وَإِنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى » .

ويبسط له به أسباب الرزق والقوة بالنص الشريف :

« وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ » .

فهو بذلك طريق إلى رحمة الله فى الدنيا والآخرة فبه يرزق الله الإنسان بالأموال والبنين فى الدنيا ويجعل له به الجنات بما فيها من خير ونعيم وذلك بالنص الكريم :

« فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا » .

لذلك كانت دعوة الرسل والأنبياء لأقوامهم ووصاياهم لهم

بالإستغفار دائما ... كما كانوا فى ذلك القدوة لهم إذا كانوا يكثرون منه ... وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم فى سيدنا إبراهيم إذ يستغفر الله لأبيه :

« قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِى يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا . قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا » .

وفى سيدنا نوح :

« ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا . ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا . فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا » .

وفى سيدنا صالح :

« وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ » .

وفى سيدنا هود :

« وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ . يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ » .

وفى سيدنا شعيب :

« وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ . وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ » .

وفى سيدنا داود :

« وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ » .

وفى سيدنا موسى:

« قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

وفي سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى كافة الرسل والأنبياء وسلم :

« وَمَا أَرسَلنا مِن رَّسُولٍ إلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جاءُوكَ فاسْتَغْفَرُوا اللهَ واستَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيماً » .

وحتى يتأكد فى ذهن الإنسان فضل الاستغفار ويعرف عظم شأنه فإن الله سبحانه وتعالى جعله فى مقام وجود سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قومه إذ يقول جل شأنه لنبيه فى قرآنه الكريم :

« وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » .

... وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يقول بعد وفاة الرسول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقى الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا ...

ألا ما أقرب الطريق إلى رحمة الله فى الآخرة إذ ما أسهل الاستغفار وأيسره ، وما أفضل أن يستغفر الإنسان لينال رحمة الله فى الدنيا والآخرة ... وبذلك ما أعظم الاستغفار وما أوجبه ...

والاستغفار الذى طالبنا به القرآن الكريم والذى يهدى الإنسان إلى رحمة الله ليس بألفاظ يرددها الإنسان دون أن يعنيها بل لابد أن يعزم على تنفيذ ما يهدف إليه الاستغفار ... فالاستغفار وهو إقرار بالذنب واعتراف بالخطأ والتجاء إلى الله ليغفر للانسان هذا الذنب والخطأ ... إنما هو يحمل فى معناه العهد بعدم العودة إلى مثله مرة أخرى ... وإلا لم يكن الاستغفار كاملا ... مستوفيا أركانه ... تامة شروطه ... وإذا عاد الإنسان مرة أخرى إليه بعد نيته الصادقة بألا يعود عليه ... فيمكنه معاودة الاستغفار ... والنية بعدم العودة إليه ... ولذلك نجد أن التوبة والاستغفار يجتمعان فى كثير من الآيات التى تختص بالاستغفار أو التوبة مثل :

« هُوَ أَنْشَأَكُم مِنَ الأَرْضِ واستَعْمَرَكُم فِيهَا فاستَغفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ » ، « أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَستَغفِرُونَهُ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

« وَيا قَوْمِ استَغفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ توبُوا إليهِ » .

وبذلك فإن التوبة من ضمن الطرق التى توصل الإنسان إلى رحمة الله سبحانه وتعالى فى الآخرة ... ويجب حتى تكون التوبة كاملة الأركان أن يرد الإنسان ما قد يكون اغتصبه من غيره من حقوق وإذا استعصى ذلك فيكون سماح صاحب الحق عن حقه المغتصب أمراً واجبا ... وإذا خشى الإنسان من التصريح لصاحب الحق بما أغتصبه منه ... خوفا من شر مؤكد يحدث فيما لوعلم ... فيكون بأن يطلب الإنسان من صاحب الحق أن يسامح كل أخاه فيما قد يكون عنده من حق ... ولا بد من الندم على ما قام به الإنسان والعزم على ألا يعود لمثله ... وأما ذنوب الإنسان نحو نفسه ... أو ذنوبه فيما لا يؤذى غيره ... فإن الله غفور لذنوب عباده ... وكل من تاب إلى الله ... فإن الله به رحيم ... فيقول سبحانه وتعالى .

« كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ ثُمَّ تَابَ من بَعْدِهِ وَأَصلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ » .

ويقول كذلك جل شأنه :

« إنَّما التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلذينَ يَعمَلونَ السُّوءَ بجَهالَةٍ ثُمَّ

يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً » .

وهكذا تحدد الآيات الشريفة فى شأن التوبة أركانا لها ... هى أن يكون ارتكاب الإنسان للذنب بجهالة أى طغت عليه الرغبة فى فعله فلم يستطع المقاومة فاندفع إلى الذنب ... وأن يتوب الإنسان فور إرتكابه الذنب ... وأما إذا استمر الإنسان يرتكب ذنوبه حتى وصل إلى السن التى تمنعه من إتيان الذنب ... وأعلن توبته ... فإنها لا تكون توبة ... والله أعلم... فتوبة الشاب وهو قادر على المعاصى ... هى التوبة التى يقبلها الله ... وأما إذا ظل الإنسان على حاله من إرتكاب الذنب إلى أن يشعر باقتراب أجله ثم يتوب فإن الله سبحانه وتعالى يقول عن هذا وأمثاله ما نصه :

« وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ اعْتَدْنا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً » .

والتدبر للحياة فى كافة صورها ... والتأمل للأحياء فى مختلف

ظروفهم ... يجد أن الإنسان مهما كان وفى أى عصر ولد وأى زمان ... وفى أى بقعة من الأرض عاش وأقام ... لابد أن تتابع عليه الحياة بمختلف صورها ... ولا بد حتى يشبع ... أن يجوع ... وحتى يشفى لابد أن يمرض ... وحتى يطمئن لا بد أن يخاف ... وأى إنسان لابد أن يعتريه فى حياته ما يثير فيه بعض الخوف سواء أكان مصدر الخوف يعتبر أمراً حقيقياً أو كان وهما ... بل لقد أثبتت الدراسات والأبحاث أن فى كل نفس بشرية لابد أن يتولد بعض الخوف ... وإن إختلفت صور الخوف من إنسان إلى آخر ... فقد يخاف إنسان من الفقر ... وغيره يخاف من المرض ... بل هناك من يخاف الظلام ... وغيره على نقيض ذلك يخاف الأضواء ... ومن الناس من يخاف الهدوء والسكون ... وغيرهم يرتجفون من الزحام والجلبة ... والمتأمل لحاله ... يجد أنه لابد قد مرت به فترة أحس فيها بالجوع ... أيا كان سبب الجوع ... لسفر ... أو إنقطاع الزاد ... أو لنقص فى الأموال ... أو لاعتلال فى الصحة ... وكل إنسان قد تعرض فى حياته ... من ناحية ماله ... إلى الحالين ... الغنى والفقر ... أو زيادة المال ونقصانه ... والحياة إذا كانت تفيض بحقائق واضحة أمام الإنسان فإن الحقيقة الكبرى المؤكدة فى الحياة والتى لا شك فيها هى الموت ... الذى هو ... النهاية الحتمية.

لـكل حى ... ولأن الإنسان يعيش مع الأحياء فلا بد أن يصيب بعض هؤلاء ما لا بد أن يصيب جميع الأحياء ... فيمر بهم موكب الموت الذى لا بد أن يركبه كل إنسان ... وكل طير وحيوان ... وكل كائن حى ... طالما دبت فيه الحياة ... فالإنسان الذى يحسن التأمل ويدرك الحقيقة إنما يعتقد اعتقادا جازما ... ويؤمن إيمانا راسخا ... بأنه حتما إلى الله ... طال الأجل أو قصر ... وأنه فى طريقه يقينا إلى الله لذلك فإنه إذا ما استشعر ما قد يصاب به فى حياته مما لا بد أن يصيبه حتما من خوف أو جوع أو نقص من الأموال أو النفس أو الثمرات ... رده إيمانه ... ويقينه إلى الحقيقة المؤكدة ... إذ كيف يجزع ... وكيف يفزع ... وكيف يأسف ... وكيف يحزن ... وهو نفسه إلى الله يسير ... وفى كل لحظة هو إلى الله يرجع ... إن هذه الحقيقة المؤكدة فى الحياة ... والتى لا بد لـكل إنسان أن يؤمن بها ... ويتصرف فى ضوئها ... بل ويذكرها فوراً ... قد جعلها الله سبحانه وتعالى طريقا إلى رجعته فى الآخرة ... وما أسهله من طريق وما أيسره من عمـل ... وفى ذلك يقول القرآن الـكريم :

«وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا

أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قالوا إنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيهِم صَلَواتٌ مِن رَبِّهِم رَحْمَةٌ وأُولَئِكَ هُمُ المُهتَدُونَ » .

وينظر الإنسان إلى نفسه ... ويتأمل ما فى داخله ... ويتطلع إلى ظاهره ... ترى ... من خلقه ؟ ومن أوجد له ما بداخله الذى يحتاج إليه ... وأبدع صورته التى هو عليها ؟... ومن خلق كل ما حوله ؟ وهذا القصد والتدبير ... وهذا النظام العجيب ... وإذا ألقى نظرة عابرة ... أو حط ببصره على وردة زاهية ... وإذا حلق بفكره فى السماوات ... ورأى النجوم والأفلاك ... وإذا جلس على شاطىء بحر ... فرأى الأمواج ... أبدا .. تتلاطم ... ودائما تتلاحم ... والشمس ... وكيف تشرق ... لتغيب ... ثم القمر ... يكون بدرا ... ليصير محاقا ... فى نظام محكم ... وترتيب أكيد ... ترى ... هل هناك شك فى وجود الله ؟... ثم مهما عميت أنظاره ... ألا يرى ببصيرته !... ألا ينبعث من داخله بالرغم عنه ... الشعور بوجود الله ... ألا يذكر الملحد أيا كانت درجة إلحاده ... وهو فى غمرة حديثه .. أو فى شدة تصيبه ... الله سبحانه وتعالى ... كما ينادى الطفل ربه ... دون أن يعرف عن الوجود شيئا ... وكما يلجأ إليه ... الإنسان الفطرى الذى لم تصله

بعد أي رسالة من السماء عن طريق رسل أو أنبياء ... وحتى الكافر ...
والملحد ... والذي لا يؤمن بالآخرة ولا الحساب ... يرى بعينيه ...
ويسمع بأذنيه ... وهو ينتقل من حياته الدنيا إلى الحياة الآخرة ...
الملائكة ومعها أرواح الأقارب والأحباب ممن سبقوه ... يخبرونه ...
ويبصرونه ... بآيات وجود الله وأدلة وحدانيته وشواهد عظمته ...
فلا حقيقة في الوجود ... تعادل حقيقة وجود الله ... وقد يقام الشك
في وجود الإنسان نفسه ... ولكن لا يقام الشك في وجود الله ...
إطلاقا .. فالإيمان بالله ... إنما هو أمر ... مقدر ومقرر ... وحقيقة
لا شك فيها ... وإذا رأى الإنسان الجبال وكيف تقوم ... والليل وكيف
يعقبه النهار ... والأنهار وكيف تجرى ... لتنشر الرخاء والخير على
جانبيها ... وكيف أن الأرض وما عليها ... والسماوات وما فيها ...
كلها إنما هي بأمر الله ... ومشيئته هي التي تتم ... هل بعد ذلك يركن
الإنسان العاقل ... إلى غيره ... لا يملك لنفسه نفعا أو ضرا ... أم ترى
يلجأ إلى خالق السماوات والأرض ... ومدبر الأمر ... كل أمر ...
للسماء أو الأرض ... إذا كانت هذه هي الحقيقة ... وهذا ما يجب أن
يكون عليه كل إنسان ... أليس من شواهد رحمة الله الواسعة بالإنسان
في الآخرة ... أن يجعل الله جل شأنه الإيمان به ... والاعتصام

به من طرق ابتغاء رحمته ؟... إذ يقول سبحانه وتعالى :

« فأمّا الّذين آمَنُوا باللهِ واعْتَصَمُوا بهِ فَسَيُدْخِلهُم فى رَحْمةٍ مِنهُ وَفَضْلٍ وَيَهْديهم إليهِ صِراطاً مُستَقيماً » .

... وإذا ما استكمل الإنسان الإيمان بربه واستشعر حلاوته ... وأحس برحمة الله فى قلبه ... فإنه يصبح وليس من هدف له فى الحياة إلا الجهاد فى سبيل الله ... الله الذى خلقه ... وخلق له كل ما يريد ... وإن عصاه وأذنب ... وتاب واستغفره غفر له ... وأنعم عليه ... الله سبحانه ... الذى يرزق كل عباده ... ويبسط لهم الرزق ويحفظ عليهم حياتهم ... إن كفروا به رزقهم ... أيضا ... وإن ألحدوا أبقى عليهم ... فهو الله ... وهم عباده ... فلو تأمل المؤمن حاله ... وحال الدنيا ... لجاهد فى سبيل الله ... بأمواله ونفسه وأولاده ... فكل هذا منه ... وهو صاحبه ... فهؤلاء الذين آمنوا وجاهدوا ... فى رحمته وفى نعيم إذ يقول المولى عز شأنه فيهم :

«الَّذينَ آمَنوا وَهاجَرُوا وَجاهَدوا فى سَبيلِ اللهِ بأَموالِهم وَأَنفُسِهِم أَعظَمُ دَرَجةً عِندَ اللهِ وأُولئك هُم الفائِزُون »

يُبَشِّرهُم رَبُّهم برَحْمةٍ منهُ ورِضْــوانٍ وَجَنَّاتٍ لهم فِيها نَعِــيمٌ مُقِيمٌ . خالِدِين فِيها أَبداً إِنَّ اللهَ عَنــدَهُ أَجْرٌ عَظِــيمٌ » . .

والإنسان فى جهاده فى سبيل عيشه فى الدنيا أنما يرجو دائما من غيره أن يحسن العمل معه ... مشتريا كان أو بائعاً ... متحدثا ... أو مستمعاً ... تاجراً أو زارعاً ... ومهما كان ميدان احتكاك الناس به ... فإنه يطلب منهم أن يكونوا معه صادقين ... وأن يحسنوا بمعاملتهم له فإذا كان هذا هو رجاء الإنسان من غيره ... أليس ذلك هو ما يرجوه غيره منه ... إن الإنسان مطالب حتى تعمر الدنيا ... بأن يكون كل عمله ... صالح ... فإن آخذ لا يأخذ أكثر من حقه ... وإن أعطى لا يعطى أقل من حق غيره ... وإن كان فى موضع الراعى ... فليحسن معاملة رعيته ... وإن كان مشرفا على غيره ... فليحفظ الأمانات أياً كانت الأمانات ... إن العمل الصالح ... فى كل صوره ... وكافة ميادينه أمر طبيعى يجب أن يقوم به الإنسان ... ولكن رحمة الله الواسعة بالإنسان قد جعلت من قيام الإنسان بالعمل الصالح سبباً لإبتغاء رحمة الله جل شأنه فى الآخرة إذ تقول آيات القرآن الكريم :

« فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ فَيُدخِلهُم رَبُّهم فى رَحمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ المبِينُ » .

... ويريد الله سبحانه وتعالى أن تعم رحمته فى الآخرة عباده إلا من يشرد ويأبى ... فجعل رحمته جل شأنه قريبة من المحسنين ... وما أيسر أن يكون العبد منهم وما أسهل الطريق لأن يكون أى إنسان من المحسنين ... إذ أنه حتى من لم يفسد فى الأرض فهو من المحسنين ... وذلك بالنص الكريم :

« وَلاَ تُفسِدُوا فى الأرضِ بَعدَ إِصلاَحِها وادعُوهُ خَوفاً وَطَمعاً إنَّ رَحمتَ اللهِ قَرِيبٌ مِن المحسِنِينَ » .

وأنزل الله سبحانه وتعالى للانسان كتابا مباركا فيه آيات بينات توجه النظر إلى شواهد وجود الله وأدلة وحدانيته ... وتشير إلى مظاهر قدرته وعظمته ... وتبعث فى الإنسان الاطمئنان إلى واسع رحمته ... وتحى أمل كل نفس فى مغفرته ... وفيه من الأوامر والنواهى التى بالاستجابة لها يتحقق للانسان فى حياته الخير كل الخير ويأمن من أن يصاب فى دنياه بشر أى شر ... فالله سبحانه وتعالى هو الذى خلق

الإنسان ويعلم ما يفيده وما يضره ... فكل ما أمر به أو نهى عنه جل شأنه فلحكمة مؤكدة وفائدة محتمة للانسان ... وزيادة على ذلك فإن من استجاب لما كان جزاؤه فى الآخرة النعيم المقيم ... والثواب الكبير ... وفيه حدد الله سبحانه وتعالى علاقة الإنسان بغيره ... أيا كان هذا الغير ... قريباً أو بعيداً ... من أهله أو ممن يزاملونه فى عمله وحدد علاقة الفرد بالمجتمع الذى يعيش فيه ... بل وأوضح علاقة هذا المجتمع بالوطن الذى يضمه ... وعلاقة الدولة بغيرها... فهو بحق القانون العالمى الذى وضعت فيه الحقوق وحددت الواجبات بما يكفل قيام الحياة على خير أوجهها وضمان حصول الأفراد والجماعات على كامل حقوقها ... فحقوق الأفراد إنما تتصل إتصالا مباشرا بقيام غيرهم بواجباتهم ... وحدد القرآن الكريم معالم الطريق التى لا يضل الإنسان فيها ... أبدا ... فى دنياه وآخرته ... بل يصل بها إلى السعادة المطلقة فى الحياة ... وفى الآخرة ... وهذا الكتاب الذى استمع إليه الصحابة الأول ممن أوحى إليه به صلى الله عليه وسلم واستمر موضع الدراسة والفحص ... من خصوم الدين ومحل الرعاية والعناية ممن هداهم الله جل شأنه إلى اعتناق ما نزل به ... لم يجد فيه نفر من هؤلاء ولا هؤلاء ما قد يثير لديهم فيه أى شك أو ارتياب ... بل

إن الدراسات والأبحاث لتضيف كل يوم إلى إعجازه جديدا يقطع بأنه وحى الله الكريم الوهاب ... وهذا الكتاب إنما أنزله الله سبحانه وتعالى رحمة بالإنسان فى دنياه وآخرته إذ تقول عنه آياته الشريفة :

« تِلكَ آياتُ الكِتابِ الحَكيمِ . هُدًى وَرحمةً للمُحسنينَ » .

وفيه الشفاء والرحمة للمؤمنين بما يستجيبون إليه منه بالنص الكريم

« وَنُنزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمةٌ للمؤمنينَ » .

ولكن الله الرحمن الرحيم جل شأنه ... يضيف إلى ذلك صوراً أخرى من رحمته بالإنسان فى الآخرة بالقرآن الكريم فيقول عز وجل :

« وَإذا قُرِئَ القرآنُ فاستَمِعوا لَهُ وَأَنصِتوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمونَ » .

فجعل الله سبحانه وتعالى من أسباب رحمته بالإنسان فى الآخرة أن يستمع إلى القرآن الكريم وينصت إليه ... وإذا تم إنصات الإنسان إلى القرآن الكريم وهو يتلى فإنما يكون قد استحضر فى نفسه كل أسباب التدبر والتأمل والتفكر فلا يلبث إلا أن يجد نفسه

مستجيبا ... لا محالة ... لما يدعو إليه القرآن الكريم ...؛

وإذا كان القرآن الكريم وهو المعجزة الخالدة قد اعترف العالم بها وآمن بأنها فوق ما عهد وأسمى مما عرف...وأنها وقد حوت من أساليب البيان والبديع ما يعجز عن الإتيان بمثله جهابذة اللغة وأرباب الأقلام ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ... وتضمنت من التشريعات ما يجعلها أفضل من كل ما عرفت الدنيا أو تأمل الأزمان من تشريعات ... وبها من الحقائق العلمية التى لم يصل إليها العلم إلا فى عصرنا الحالى بعد أن اكتشفت وسائل البحث وطرق القياس وأجهزة التقريب وآلات الرصد ... بل بها حقائق أخرى ما زالت خافية على العلم بعيدة عن مدارك العلماء... هذه المعجزة التى تضمنت كل ذلك ... ترى ألا يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى تلاها على الناس منذ أربعة عشر قرنا رسولا من الله حقا !... ثم الحقائق التى تروى عن أخلاقه ... والأخبار التى نقلت عن معجزاته ... وهذا الدين الذى ينتشر فى كل أرجاء الدنيا... ويعترف الجميع بأنه هو الدين الذى يصلح لكل الاجيال والعهود ... وأنه الدين الخالد العالمى ... الذى ليس بعده دين ... ثم تمر الأيام وتتعاقب الأجيال فلا يزيد مرورها إلا تأكيدا لهذا الدين ... وتثبيتا له ... ألا يكون محمد بذلك وهو الذى دعا إلى هذا الدين وجاهد

من أجله ... نبي الله ورسوله ؟... وإذا كانت هذه حقيقة لا تقبل الجدل ... أليس من رحمة الله بالإنسان أن يجعل الإيمان برسوله من طرق رحمته الواسعة فيقول عز من قائل :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِر لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وإذا آمن الإنسان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجب عليه طاعته ... وما طاعته إلا استجابة لما أمر به الله عز شأنه ... فكأن طاعتنا للرسول إنما هى استجابة لما أمر الله به وهى طاعة لله ... ومن شواهد رحمة الله الواسعة بالإنسان أن جعلها لمن يطيعون الله... والرسول وذلك بالنص الكريم :

« وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » .

وتقوى الله سبحانه وتعالى من وسائل ابتغاء رحمته فى الآخرة ... فكل من اتقى الله ... فقد ضمن رحمته ... ومهما كانت سبل التقوى فكلها طرق تؤدى إلى رحمة الرحمن الرحيم ... وبالتقوى يتخذ الإنسان

كل ما يجعل نفسه فى وقاية من نتائج إتيانه ما يغضب ربه أو يضر به نفسه أو غيره ... فمن آمن بالبعث وبالحساب ... فإنه يخشى الله ... ومن خشى الله لا بد أن يتقيه ... ومن عرف العقاب ... وتخيل العذاب ... خشى الله ... ومن تأكد من لقاء الله ... وعرف آثار رحمته ... لجأ إلى الله .. ولا بد أن يتقيه تجنبا لعذابه ... وطلبا لرحمته ... ولأن التقوى سبيل رحمة الله فقد كانت الدعوة إليها ... أساس رسالات الرسل والأنبياء وموضع اهتمامهم ... وذلك بنص الآيات الكريمة :

« إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوح أَلَا تَتَّقُون » .

« إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُون » .

« إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونْ » .

« إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوط أَلَا تَتَّقُون » .

« إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْب أَلَا تَتَّقُون » .

« وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُون » .

ويأمر الله جل شأنه خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ عباد الله أمره سبحانه وتعالى لهم بتقواهم له بالنص الشريف :

« قُل يا عِبادِ الَّذِينَ آمنُوا اتَّقُوا ربَّكم لِلذِينَ أَحْسنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيا حسَنةٌ وأَرْضُ اللهِ واسِعةٌ إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسابٍ » .

ويأمره هو أيضا بالتقوى وذلك بالنص الكريم :

« يا أَيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ ولاَ تُطِعِ الكَافِرِين والمنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً » .

... وفضل الله سبحانه وتعالى المتقين على غيرهم تفضيلا كبيراً إذ أن تقوى الله إنما هى هدف العبادات الحقة الصادقة ... فليست العبادات هى مجرد حركات فى اتجاهات محددة ولكنها وسائل بها يصل الإنسان إلى درجة التقوى ... ولقد وصف الله سبحانه وتعالى المتقين فى آيات القرآن الكريم فى مثل النص الشريف : -

« لَيسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكم قبلَ المَشْرِقِ والمَغرِبِ ولكِنَّ الْبِرَّ مَن آمَنَ باللهِ والْيَوم الآخِرِ والملائِكةِ والْكِتَاب والنَّبِيِّين وآتى المالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقربَى والْيَتامَى

والمساكينَ وابنَ السَّبيلِ والسَّائلينَ وفى الرِّقابِ وأقامَ الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ والموفونَ بعهدهِم إذَا عاهَــــدُوا والصَّابرينَ فى البأساءِ والضَّرَّاءِ وحِينَ البَأسِ أولئكَ الّذينَ صدَقُوا وأولئكَ هُمُ المتَّقونَ » .

ولا تقتصر التقوى على ذلك ... بل إن من طرقها ما هو ميسور فالعدل من التقوى بالنص الشريف :

« اعْدِلوا هُوَ أَقْرَبُ للتَّقْوى » .

... والعفو ... من التقوى بالنص الكريم :

« وَأَنْ تَعفو أَقْربُ للتَّقْوى » .

واستقامتك مع أى خصم لك أو عدو من التقوى بالنص الكريم :

« فَمَا استَقامُوا لَكم فاستقِيمُوا لَهم إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ » .

بل القول الصادق السليم من التقوى بالنص الكريم :

« وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً » .

وبالرغم من يسر التقوى وسهولة الطرق التى توصل الإنسان اليها فإن من رحمة الله بالإنسان فى الآخرة ... أن يجعل جل شأنه أوسع رحماته للمتقين وذلك بالنص الشريف :

« وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ » .

ومن رحمه الله بعباده فى الآخرة أنه جل شأنه سيرحم من يشاء منهم بإرادته ... ومشيئته ... فرحمته الواسعة قد اقتضت ذلك إذ تقول الآيات الكريمة :

« يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ » ، « لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ » .

وبذلك فلا يأس إطلاقا من رحمة الله ولا قنوط ... إذ لا يمكن أن يقنط من رحمة الله إلا الضالون وذلك بالنص الشريف :

« قالَ ومنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إلاَّ الضَّالُّونَ » .

وهكذا تتعدد الوسائل التى يفوز بها الإنسان برحمة الله فى الآخرة حتى أن المتأمل والمتدبر ليجد أن رحمة الله به فى الآخرة أقرب مما يظن وأوسع مما يرجو ... وأيسر مما كان يعتقد ... فإن الله جل شأنه رحمة بعباده فى الآخرة قد كتب رحمته لكل من سعى إليها بإيمان صادق ... أو يقين كامل ... أو بعبادة خالصة ... أو برأى سديد ... أو بقول طيب ... أو بعمل صالح ... أو بنظرة إلى السماء فيها الخشية من الله ... بل إنه مما يؤكد سعة رحمة الله بالانسان أنه عز شأنه زيادة على كل هذه الوسائل التى تؤدى إلى رحمته قد طالبنا بأن ندعوه ليرحمنا وذلك بالنص الشريف

« وقُل رَّب اغفِرْ وارْحم وأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمينَ » .

ترى من يستجيب للعباد غير الله ؟ ... أليس هو القائل سبحانه وتعالى :

« وقَالَ ربُّكمُ ادعُونِى أَستَجِبْ لَكمْ » .

ومن أصدق من الله قيلا ... ؟

سبحانك ... يارب ... ما أوسع رحمتك ... إذ تعددت الطرق

التي تؤدى إلى رحمتك ... واتسعت بحيث أصبحت وكأنها الوجود بأكمله ... وكيف لا يغطى الوجود كله رحمة الله بل وتزيد عليه ؟... أليس الله هو الرحمن الرحيم...؟ فأينما وجد الله...وجدت الرحمة الواسعة الدائمة ... والله جل شأنه فى كل مكان ... أينما كان...وفى كل زمان... وأى أوان ... وهو الأول ... فكأن رحمة الله وليس قبلها شىء ... وهو الآخر ... فكأن رحمة الله وليس بعدها شىء ...

سبحانك ... يارب ... كما شملتنا برحمتك فى دنيانا ... لا تحرمنا رحماتك فى آخرتنا ... وكما وهبتنا الرحمة فى حياتنا على ما كان منا ... ندعوك لترحمنا فى الآخرة بفضل منك علينا ...

« رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ » .

(صدق الله العظيم)

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية



الثمن ٢٠ قرشاً